

٣ - استراتيجية الولايات المتحدة الاميركية

قلنا اذن ان الولايات المتحدة الاميركية تتزعم امبراطورية عالمية متعددة الاطراف (متعددة الرؤوس) تقوم على نظام النهب الرأسمالي الاحتكاري العالمي . وقلنا ان طموحات احتكاريها تبلغ درجة محاولة فرض سيطرتهم المطلقة على العالم الرأسمالي الاحتكاري ، بشطريه المتقدم والمتخلف ، والسعي الى احتواء المعسكر الاشتراكي بشكل من الاشكال . اي باختصار انهم يطمحون الى ايقاف عجلة التاريخ وتجميد الجملة الانسانية ، لتقف هذه الجملة عند المرحلة الاخيرة من طورها الرأسمالي الاحتكاري . ولا يخفي المسؤولون الاميركيون هذا الهدف الشامل لاستراتيجيتهم ، على الرغم من خطورة آثاره على مجرى الحياة الطبيعية للجملة الانسانية ، وعلى الرغم ايضا من دلالاته على عدم اتزان تفكير هؤلاء الذين يقفون في مركز القيادة لامبراطورية عالمية فكثيراً ما أعلن قائلاً امركا عما اسموه «باكس اميريكانا» ، تشبهاً «بالباكس رومانا» الذي كان يعلنه رومان اواخر الطور العبودي للجملة الانسانية . وقد كلف الركض وراء هذا الشعار كل هذه الحشود الهائلة للوسائل المادية التي لا تنقطع عن حشدها في مختلف انحاء العالم الرأسمالي (المتقدم والمتخلف) القيادات المتتابعة لهذه الدولة العدوانية . ان ريفن مثلاً كتب مؤخراً الى بريجنيف رسالة مؤرخة في ٢٥ ايار ١٩٨١ . وتتضمن هذه الرسالة العبارة التالية (التي يمكن تصنيفها بين عبارات المراسلات الرسمية لعهود الطور العبودي) : « . . . ان الولايات المتحدة الاميركية كانت بعد الحرب العالمية الثانية تملك القدرة على تحقيق سيطرتها على العالم . ولكنها لم تستغل هذه القدرة عن وعي . . . » * . فالرئيس الاميركي ريفن (الذي نرى فيه وفي اعوانه

* رد بريجنيف على هذه العبارة بالذات برسائلته الى ريفن بتاريخ ٢٤ نيسان وقد اذاعت السفارة السوفياتية في اميركا هذه الرسالة .

ظاهرة صعود اشد انواع الرجعية العالمية سوادا الى السطح في العالم الرأسمالي الاحتكاري ، وبعبارة اخرى نرى فيه بوادر انهيار النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، نقول ان هذا الرئيس بعبارته هذه يبدي اسفه وحزنه لأن دولته ضيعت فرصة السيطرة المطلقة على العالم بعدم استغلالها ظرف امتلاك القنبلة الذرية وحدها بين الدول . . . وهذا تماما ما كان هتلر يفكر به ، فنسب اليه الناس ، وفي طبيعتهم الاميركان ، الجنون . وهذا مع العلم ان اميركا ما كانت تملك نسبياً تجاه العالم من القوى المادية (في ذلك الطرف الذي يشير اليه ريغن بعبارته الأنفة الذكس) اكثر مما كان بملكه منها هتلر ، مع حلفائه ، عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية . فالرأسماليون (حلفاء اميركا واعدائها) خرجوا من هذه الحرب محطمين . وما كان المخزون النووي الاميركي قد تكون بعد في ذلك الوقت ، وهذا ما يناقض اوهام ريغن التي عبر عنها بعبارته الأنفة الذكس . وكان الاتحاد السوفياتي في تلك الايام يملك اقوى جيش بري في العالم ، ويسير بقدم ثابتة نحو انتاج سلاحه النووي . واجتاحت حينذاك الثورات العارمة النظام الرأسمالي الاحتكاري في اوربا واميركا واليابان . وباختصار كانت احداث العالم تندفع بقوة هائلة لا ترد في الاتجاه الذي اندفع فيه . وقد استخلص قادة اميركا في تلك الظروف كل ما بوسعهم استخلاصه لاقامة امبراطوريتهم : بخبراتهم العالية في قهر الناس ، واستغلالهم ، كاحتكاريين ، كل قدراتهم بالاضافة الى قدرات غيرهم ممن طواعهم لبلوغ ما بلغوه من اهداف . ولكن ريغن بحزنه على ضياع «فرص وهمية» يعترف بعجز بلده ، مع ذلك ، عن تحقيق اوهامه واوهام امثاله في امكان ايقاف عجلة التاريخ .

قوانين الصراع الحضارى المعاصر : تنقسم قوانين الصراع ، كما هو معلوم ، الى فئتين رئيسيتين : القوانين العامة ، والقوانين الخاصة .

أ - القوانين العامة للحرب : نذكر منها اهمها وهي :

١ . قوانين الحرب موضوعية لا تتبدل بالنسبة للطرفين المتحاربين . فالنصر والهزيمة مثلا بتوزعان على الطرفين المتحاربين نتيجة اقتسام هذين الطرفين لجملة عوامل مادية وروحية قامت اثناء الصراع . فلو اختلفت هذه القسمة لانعكس ذلك التوزيع . فاميركا مثلا

على الرغم من كونها دولة عظمى ، ولا مجال لمقارنة ما توفر لها من قوى مادية مع ما توفر للفيتناميين ، انهزمت امام هؤلاء في تلك الحرب الشهيرة ، لأن عدوانيتها حرمتها من العوامل العديدة التي تمتع بها الشعب الفيتنامي في دياره ، وفي مقدمتها : تصميم هذا الشعب ، ومهارة قادته واخصلاهم ، ودعم قوى التقدم وكل القوى الشريفة في العالم له . ٢ . ان التفوق بامتلاك مختلف الوسائل لا يجدي ما لم توضع هذه الوسائل بانواعها المختلفة قيد نظام استعمال ملائم يسمح ، بنتيجة قيادة كفؤة ، بالحصول على مردودها المنتظر . ففي الحرب التي خاضتها اميركا مثلاً ضد كوريا الشمالية في مطلع الخمسينات كانت وسائلها تتفوق من الناحية التقنية على وسائل الكوريين والمتطوعين الصينيين الذين هرعوا لنجدهم . ولكن غطرسة القيادة الاميركية اوقعت الجيش الاميركي الذي لم يشاهد التاريخ مثيلاً له من حيث وفرة وتقدم معداته (بحسب وصف جريدة لوموند الفرنسية حينذاك) في مأزق نهر يالو . ومضى هذا الجيش هناك بهزيمة ساحقة على الرغم من وسائله المتقدمة ، ومن الاحتياطات الواسعة التي كانت تمتلكها قيادته . ونستخلص من هذا القانون ما يلي :

بالامكان حرمان الخصم من امكان استعمال وسائله ، المتفوقة او غير المتفوقة ، بمناورة تسوقه الى مأزق مناسب لا يتسع لوسائله التي تتعطل عندئذ وتصبح غير مفيدة له ان لم تُغْدُ عبءاً عليه .

٣ . لا تناقض استراتيجية الحرب استراتيجية السياسة . «فالحرب استمرار للسياسة ولكن بوسائل اخرى» . فالسياسة التي تمارسها الولايات المتحدة الاميركية في العالم ومختلف ارتباطاتها الدولية ، مع التهديد والتآمر والتخريب في مختلف انحاء العالم ، ومع الحروب العدوانية التي تشنها هنا وهناك مباشرة او بواسطة امتداداتها ، كاسرائيل وجنوب افريقيا ، كل هذه الامور تؤلف كلا واحداً متكاملًا لنشاط هذه الدولة الامبريالية . ويقود هذا النشاط «مكتب الامن القومي» اعلى سلطة فيها ، المكتب الذي يترأسه رئيس الجمهورية ، ويضم الى جانب مختلف الخبراء والمستشارين :

- وزير الخارجية .

- وزير الدفاع .

• كلاوزنتز

- وزير الخزانة .

- مدير المخابرات المركزية .

ان الولايات المتحدة الاميركية ، بوصفها زعيمة للامبراطورية العالمية المتعددة الاطراف ، لا تقيم مع العالم الثالث علاقات دولية كالتى تُعرّفها نظريا الهيئات الدولية وقوانينها . فهي قد «وسعت» حدود «مصالحها» بحيث اصبحت تشمل قيم و ثروات ذلك العالم المتخلف . وقد مر معنا كيف ان الرسميين الاميركيين يصرحون في كل مناسبة مثلا ان البترول العربي هو من مقومات الامن القومي لدولتهم . ونجد على هذا الاساس ان بعض اكثر الامور ارتباطا بالشؤون الداخلية لبعض بلاد العالم تمس برأيهم أمن «دولتهم» . فشكل الحكم في بلاد نفط الخليج مثلا هو من اختصاص الولايات المتحدة الاميركية قبل ان يكون من اختصاصات اهل تلك البلاد . لذلك نجد هذه الدولة تنفق عشرات المليارات لاقامة قوة عدوانية هي «قوة الانتشار السريع» للتدخل اذا لزم الامر في شؤون البلاد الخليجية وشؤون غيرها في منطقتها وفي العالم . وقد اخترعت منذ الخمسينات حجة لتدخلها هي حجة «العدوان الشيوعي غير المباشر» ، وتقصد بها كل حركة داخلية في البلد الذي يهمها تناقض ارتباطه بها . وفي اعقاب سقوط الشاه في ايران ، اخترعت حجة اخرى لتدخلها مناقضة تماما للسابقة ، وهي «الخطر الاسلامي المتطرف» . ولكن هذا التناقض بين الحجتين المذكورتين ما هو الا دليل السبب الاساسي للتدخل العدواني في العالم المقهور ، وهو فرض ارتباطات الاستعمار والقهر على هذا العالم وصيانتها . ولا يخفى القادة الاميركيون على كل حال هذا الامر ، كما سبق ورأيانهم يقولون مثلا بكل صراحة : ان ثروات العالم ، كالبترو ، تخصهم قبل ان تخص اصحابها .

ب - قوانينالحرب الخاصة : لنقم في البدء بالقاء نظرة على الخواص العامة للحروب التي تخوضها الولايات المتحدة الاميركية . فهذه الخواص تنشأ بطبيعة الحال عن هوية هذه الدولة وهوية ضحاياها من يقع عليهم عدوانها . كما ترتبط ايضا على الاخص بقوى سياسية ، وبمصالح اقتصادية ، وباهداف عسكرية ، تحرك جميعها النشاط العام لدولة الولايات المتحدة الاميركية ، في شتى المجالات ، وفي مختلف مناطق الارض . ثم ان طبيعة كل حرب تخوضها هذه الدولة بنفسها او بواسطة امتداداتها ، كاسرائيل واشباهاها ،

« لها وسائلها الخاصة بظروفها ومستلزماتها ، ومقدار دوامها ، وشدة توترها » * ، واحتمال اتساعها وشمولها اطرافا اخرى .

اولا : ان الحروب التي يمكن ان تخوضها الولايات المتحدة الاميركية تقسم الى فئتين .

١ . حروب ضد دول العالم الثالث تخوضها بنفسها او باحد امتداداتها في العالم .
٢ . حروب عالمية يشترك فيها حلفاؤها واتباعها في العالم ضد الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي .

وبالامكان اضافة نوع ثالث من الحروب وهي تلك التي يمكن ان تقع بين الدولتين العظيمين : الاتحاد السوفياتي واميركا ، على ارض العالم الثالث (في دولة من دوله) بعيدا عن حدودهما ، بالاسلحة الكلاسيكية او النووية . وسنعود الى هذا الاحتمال بالذات فيما يلي من البحث .

« . . . كانت تتكون في عهد الرئيس كارتر مجموعة من المنشقين الستراتيجيين ، تقودها اوزان ثقيلة مثل وزير الدفاع السابق السيد جيمس ر . شلزنغر ، والقائد السابق لحلف الاطلسي السيد الكسندر هيغ ، والرئيس السابق للعمليات البحرية الاميرال المور رومولتر . وعلى غرار سابقهم الذين هاجموا استراتيجية «الرد الكثيف» ، هاجم هؤلاء الموقف غير التدخلي للرئيس كارتر ، مبينين بان تخلي اميركا في مناطق مثل انغولا واثيوبيا ، مهما كانت محيطية يشجع على تحديات اكبر في نقاط اشد حساسية ، مثل الشرق الاوسط . . . والآن ، كما في ايام كندي ، اصبح «المنشقون» في الحكم الجديد . فالجنرال الكسندر هيغ هو وزير الخارجية . وتسلم معه عدد كبير من منتقدي سياسة السيد كارتر مناصب مفصلية في الحكومة . وزيادة على ذلك لا يختلف «مذهب» الرئيس ريغن في مجال الدفاع الا قليلا عن استراتيجية «الرد المرن» للجنرال تيلور . لانه اذا كان السيد وينرغر يطالب باعادة القدرة للدفاع عن اميركا في حروب من مختلف الابعاد ، ومن مختلف الاشكال ، وفي كل منطقة لها فيها مصالح حيوية ، فان الجنرال تيلور لم يطالب بشيء سوى التحرك من نقطة الى اخرى في الطيف الكامل للتحديات المحتملة . . . ان الاستراتيجية

* انظر الاستراتيجية العسكرية باشراف المرشال سوكولوفسكي وترجمة وزارة الدفاع السورية .

الجديدة التي توضع موضع التنفيذ حاليا تلح على «الشمولية» فاصبحت بعد الآن جميع مناطق العالم بشكل مباشر او غير مباشر تشكل مصالح حيوية لاميركا : فهي من جهة تتضمن مكامن المواد الاولية التي تتعلق بها مباشرة حياة الاقتصاد الاميركي ، وهي من جهة اخرى جزء من النظام القائم حاليا في العالم ، النظام الذي يجب على اميركا ان تحميه بكامله . . . وهذا ما دافع عنه الجنرال دافيد جونز ، رئيس الاركان العامة المشتركة في كانون الماضي امام الكونغرس فقال : نحن بحاجة لرؤية استراتيجية كاملة توحد المشكلات الاقليمية في اطار اشمل . . . وقال الكسندر هيغ وزير الخارجية : سوف نعمل اكثر من اى وقت على مقاومة المبادرات السوفياتية في العالم الثالث . ومن اجل هذا ، فان الادارة الاميركية مستعدة تماما للقيام بتدخل عسكري ضد مبادرات يمكن ان تشمل اعمالا عدوانية من جانب بلدان وسيطة مثل كوبا وليبيا والفيتنام . . . واعلن وينبرغر ان الولايات المتحدة يمكن ان تضطر للقيام بتصعيد سواء عمودى او افقي ، لكي ترد على هجوم سوفياتي على حقول النفط في الشرق الاوسط . والتصعيد العمودى يعني الانتقال من السلاح الكلاسيكي الى السلاح النووي ، بينما التصعيد الافقي يتضمن توسعا جغرافيا في الصراع . . . تقوم وزارة الحرب باعادة وتطوير جهاز المعركة ضد الثورة الذي انشئ اثناء حرب الفيتنام . . . وقد ارسلت بغض وحدات من هذا الجيش الى بعض مناطق المجابهة في العالم الثالث - الحالة المعروفة اكثر من غيرها هي حالة السلفادور - . . . *

ثانيا : للولايات المتحدة وجود في كل مناطق العالم الرأسمالي (المتقدم والمتخلف) : بقواعدها العسكرية ، واساطيلها ، واحلافها ، وامتداداتها . وتغطي شبكة تجسسها سطح الارض ، ترقب الشاردة والواردة ، كما تتجول اقمارها الصناعية في اجواء الارض ترصد كل حركة على سطحها .

ثالثا : تمتلك الولايات المتحدة القوة الصاروخية النووية الاولى في العالم الرأسمالي .
رابعا : تمتلك الولايات المتحدة اضخم القوى العسكرية الكلاسيكية في العالم الرأسمالي .

خامسا : ترتبط البلاد الرأسمالية المتقدمة في العالم بارتباطات عضوية بالولايات

المتحدة . فبالإضافة الى تحالفهم معها ، فانهم شركاؤها (اطراف) في الامبراطورية الرأسمالية الاحتكارية المتعددة الاطراف (الرؤوس) . وبالتالي لا يمكن ان تقوم حرب بينها وبينهم في هذه المرحلة من النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي . وفي حالة حرب عالمية لا بد لهم من مشاركتها بكل قواهم للدفاع عن النظام العالمي الذي يقيمونه معها .

سادسا : للولايات المتحدة امتدادات عدة في العالم الرأسمالي ، نذكر منها اسرائيل بطبيعة الحال ، وافريقيا الجنوبية العنصرية التي اعلنت ادارة ريغن مؤخرا عن انها تقع في منطقة مصالحها الحيوية ، وانها دولة «صديقة» . * وهناك استراليا وكندا . وقد مر معنا كل هذا فيما سبق من البحث .

ولنعد الآن الى موضوع القوانين الخاصة للحرب التي يمكن ان تخوضها او تدفع اليها الولايات المتحدة الاميركية ، فنذكر منها :

اولا : القوانين الخاصة بحرب عالمية تخوضها اميركا وحلفاؤها وامتداداتها ضد الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي :

١ - ان هذه الحرب في جوهرها «ثنائية القطب» وان تعدد فيها الحلفاء في الطرفين المتحاربين . وقطبها اميركا والاتحاد السوفياتي المتفوقان تفوقا ساحقا على حلفائهما بالسلاح ، والقائدان لدفتها في الطرفين المتحاربين .

٢ - لا يمكن ان تكون هذه الحرب احريا صاروخية نووية بعد ان زالت الثغرة في السُّلم المتصاعد من المتفجرات الكلاسيكية الى المتفجرات النووية . فاصبح اصغر تفجير نووي يعادل اقوى تفجير كلاسيكي . ولكن الحرب النووية لا تقع نتيجة للتصعيد من الصدام الكلاسيكي الى الصدام النووي ، وانما تبدأ باشد الاسلحة النووية قوة الموجهة الى مقاتل الخصم . ذلك لأن «التأخر» في هذه الحرب سيبدأ على بكرة ابيه دون ان يتمكن من ابادة خصمه . ونورد فيما يلي بعض اقوال مسؤولي الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع ، مع العلم ان دولتهم طرف رئيسي في الحرب النووية المحتملة ، فيجب اذن اخذ ما يقولونه مأخذ الاعتبار والجدد ، وان كان الطرف الرئيسي الآخر ، وهو اميركا ، لا ينقطع عن ترديد دعواه

* بالاستناد الى ما تكتبه الصحافة الغربية فان اكثر من ٦٠٪ من ضباط المخابرات الاميركية في افريقيا يعملون حاليا في دول المواجهة لدولة عنصري جنوب افريقيا .

بامكان الاصطدام النووي المحدود بالاتحاد السوفياتي في اوربا ، لأن الحرب تقوم على طرفين (على ارادتين متصارعتين) لا بد لاحدهما من ان يرد على الآخر باشد مما يتلقاه منه ان استطاع :

- كتب الاكاديمي يفغيني تشازوف في جريدة البرافدا في ١٣/٨/١٩٨١/ مقالاً حول القنبلة النووية قال فيه : «... وتتستر الدوائر الامبريالية بمزاعم حول وجود فرصة لاستخدام نوع معين من الاسلحة النووية لا يسبب خسائر فادحة (اي نشوب حرب نووية محدودة بهذا النوع من السلاح) . وهكذا يروج بعض الساسة والجنرالات في الغرب للقنبلة النووية... ان المسؤول الذي فقد نهائيا الشعور بالمسؤولية يمكنه الاعتماد جدياً على ان الحرب النووية ستجرى حسب قواعد مرتبة مسبقاً...»

- يقول معلق نوفوستي فلاديمير كاتين في تعليق بتاريخ ٤/١١/١٩٨١ : «ان الحرب النووية المحدودة عبارة عن سخافة مثل سخافة الآمال المعلقة على الاختباء اثناء هذه الحرب في المخابىء تحت الارض فيما وراء المحيط...» .

- صرح الرئيس بريجنيف لمجلة دير شبيغل الالمانية الغربية اثناء زيارته الاخيرة لبون فقال : «... لو اندلعت الحرب النووية سواء في اوربا او في اى مكان آخر فانها ستكتسب حتما طابعاً عالمياً . هذا هو منطق الحرب ذاتها وطابع الاسلحة الحديثة والعلاقات الدولية...» . وقال ايضاً في خطابه اثناء مأدبة العشاء التي اقامها له المستشار هيلموت شمست : «... ان اكبر دولة في الغرب ، الولايات المتحدة الاميركية تسعى لتشديد سباق التسلح... وبدأت بانتاج السلاح النووي . واستخدام هذا السلاح يعني جعل اوربا بدون بشر... وبلغ بهم الامر حد الزعم بامكان قيام «الحروب النووية المحدودة...»

٣ - ان توفير الحماية من الاسلحة النووية لانسان الحضارة المعاصرة ، ولما انجزه من قيم و ثروات يعادل إعادة بناء هذه الحضارة في اعماق الارض تحت طبقات من الاسمنت المسلح تقاوم التفجيرات النووية . وهذا امر مستحيل الانجاز ، واهون منه زوال العدوان والقهر ، وصعود جملة المجتمعات الانسانية الى الطور الاعلى بعد بياد النظام الرأسمالي الاحتكارى . لذلك فان الطرفين المتحاربين عندئذ غير معصومين بدرجة واحدة ، وانسانها مع ثرواته وقيمه يشكل هدفاً سهلاً للسلاح النووي .

٤ - * ان نتائج الضربات الصاروخية - النووية المفاجئة من قبل احد الطرفين المتحاربين ، والرد الفوري الشامل عليها من الطرف الآخر ، تُلحَقُ ، خلال زمن قصير يقاس بالساعات ، دمارا هائلا في الانسان والقيم المادية في بلاد المتحاربين وحولها ، ما يمكن ان يشل كل نشاط في مجتمعات هذه البلاد ، ويؤدي الى النتائج التالية :

- البادىء بالعدوان لا يقوم باية تعبئة كمي يحقق مباغته الخصم ، الذي لا يتمكن من الرد الا بما هو جاهز لديه من قوى صاروخية - نووية ، بينما تصاب اجهزة بلاده ومؤسساتها المختلفة بالدمار او الشلل من جراء الهجوم عليها . وكذلك تصبح حالة البادىء بالمهجوم بنتيجة الرد الشامل عليه من قبل الطرف الثاني . وفي النتيجة يكون الطرفان في وضع العجز التام عن انجاز اية تعبئة بشرية او صناعية تحت «وابل» الصواريخ النووية الاولى .

- ان القوى التي لها حظ كبير بالبقاء متماسكة عند الطرفين المتحاربين ، اثر التراشق النووي الاول بينهما ، هي تلك التي كانت معبأة سلفا قبل بدء العمليات العدائية وبمناى نسبي عن الدمار بسبب تحركها الدائم ، او اخفائها عن تمسّس الخصم ، او تحصنها في غخابء ملائمة ، كبعض المعامل والورشات المقامة في امكنة ملائمة ، والغواصات المتحركة دوما في اعماق البحار ، والسفن الحربية والتجارية المتحركة في المحيطات ، والطائرات الحائمة في الاجواء ، والصواريخ النووية المتحركة على الدوام من مكان الى آخر او المخبأة في المواقع النووية الحصينة ، والجيشوش المتحصنة في المخابىء الذرية مع معداتها ، او المتحركة من موقع الى آخر الخ . . ويجب ان نذكر ايضا معظم القيادات في مقراتها الذرية الحصينة ، مع الاخذ بعين الاعتبار الاضرار البليغة التي تصاب بها اتصالاتها بمختلف القوى والمؤسسات الباقية في بلدها .

- ان قرار الهجوم الصاروخي النووي ، او الرد على الهجوم الصاروخي النووي ، لا يمكن ان يكون قرار مجموعة من الدول ، ولا بد من ان يكون قرارا اميركيا او سوفياتيا في حرب عالمية نووية ، فالدول الاطلسية الاوربية مثلا لا يمكنها ان تجمع على مطاوعة اميركا لشن هجوم نووي ، ولا بد من ان «تورط» بالحرب النووية ، فتجد نفسها وقد انخرطت في اتونها على رغمها بهجوم اميركي على المعسكر الاشتراكي . كما ان الرد السوفياتي لا

* استراتيجية العصر النووي للجنرال بيرر غالوا .

يتحمل «التأخير» باستشارة الحلفاء ، فكل دقيقة تمر في مثل هذه الحرب قد تكلف مدينة كبيرة او منطقة صناعية ، ان لم نقل مدنا ومناطق .

٥ - ان الرد على الهجوم النووي المفاجيء لا يتأخر عن الصاروخ الثاني المهاجم ، او بدايات الغارة الجوية النووية الاولى (بالطيران والصواريخ) ، فيتزامن عمليا الهجوم والرد في هذه الحرب .

٦ - يقوم الطور الاول للحرب الصاروخية - النووية بالهجوم على الاهداف الصناعية الواسعة ، والاهداف العسكرية (وعلى الاخص منها النووية) المحددة بدقة والمكشوفة . اما الاهداف النووية المتحركة ، او غير المحددة بدقة ، وعلى العموم الاهداف النووية المنتشرة انتشارا واسعا ، والمتطلبة عمليات احكام طويلة لادراكها ، فانها تشكل اهداف الطور الثاني من الحرب العالمية النووية - الصاروخية ، في الحالة التي يمكن فيها ادراك هذا الطور بعدم انهيار قوى الطرفين تماما ، او قوى احدهما ، بزوال المقومات الاساسية لحياة المجتمع في الطور الاول . ان هذا هو قانون الحرب النووية الشاملة ، حرب الدمار والفناء الكلي . ذلك لأن الرمي الصاروخي (النووي او غير النووي) يخضع للقوانين الباليستيكية ، ولأن الزمن عنصر حاسم في هذه الحرب ، ولأن فاعلية القيادات هنا ووسائلها لتحريك قواها تنحدر بسرعة كبيرة بمرور الساعات الاولى للاشتباك :

ان المردود المنتظر لقيم الاستعمال الحاصلة في الانتاج الصناعي يكون ضمن حدود قصوى تتعين بالدقة المتوفرة بتقنية الانتاج ، ويتبع الوسط الفيزيائي الذي تستهلك فيه تلك القيم ، كما يتبع كيفية هذا الاستهلاك المرتبطة بمهارات الانسان المستفيد منه . ولا توجد ابدا وحدات متطابقة تطابقا مطلقا للانتاج ، ولا بد من قيام تمايز بين الوحدات المذكورة مهما بلغت دقة الصنع . والصواريخ انتاج صناعي لا تتطابق : في النوع الواحد منها : لا يوجد مثلا صاروخان من نوع واحد متطابقان تماما بكل دقائق صنعهما ، ولا بد من ان يكون هنالك اختلاف بينهما مهما ارتفعت درجة الدقة في انتاجهما . ولا يمكن تعيين مختلف معطيات مسار الصاروخ نحو هدفه بشكل مطلق ، بسبب استحالة تعيين خواصه التقنية ، وعدم امكان تعيين مختلف المؤثرات الجوية اثناء سيره الى هدفه ، بشكل مطلق . لذلك فان الصواريخ المنطلقة الى هدف معين تنتشر في حدود مستطيل الانتثار المعروف في علم المقذوفات (الباليستيك) : مستطيل الانتثار المعروف مثلا في رمي المدفعية . ولا يحتمل على

هذا الأساس ان يصل الى الجوار المباشر للهدف اكثر من ٢٥٪ من مجموع الصواريخ الموجهة اليه . اما بقية الصواريخ فان احتمال انتشارها يكون على ابعاد اكبر من الهدف ، في حدود مستطيل الانتشار الأنف الذكر . وهذا مع العلم اننا نشترط بدهاء معرفة موقع الهدف بدقة وعدم ارتكاب اغلاط في تعيين عناصر اطلاق الصواريخ على مساراتها اليه : اننا مثلا نحتاج الى اطلاق عشرين صاروخا على هدف محمي يقع على بعد خمسة آلاف كيلومتر ، للحصول على احتمال وقوع خمسة صواريخ منها في الجوار المباشر للهدف ، وبالتالي للوصول الى احتمال كبير لتدميره .

وعند النظر الى ضخامة المخزون الصاروخي - النووي عند الطرفين ، والى التوزيع المعقد الشديد الانتشار في العالم للأسلحة النووية ووسائل قذفها ، بالإضافة الى ان بعضها محمي في ملاجئ محصنة ، وبعضها الآخر متحرك على الدوام ، وبعضها الثالث غير محدد الموقع بدقة من قبل الخصم ، نجد ان النيل من مثل هذا النظام عند كل من الطرفين المتحاربين بشكل فعال يتطلب اطلاق اعداد كبيرة من الصواريخ ، وزمنا طويلا جدا للاحكام يتجاوز الايام العديدة ، وبجهودا هائلة يستغرق اهتمام مختلف درجات قيادة وادارة هذا النوع من السلاح مع كل الوسائل المتوفرة لدينا . وبالتالي فان الطرف الذي ينطلق وراء هذه المحاولة العقيمة يترك لعدوه الساعات الاولى البالغة الحسم من الصراع النووي ، الساعات التي يتمكن خلالها ذلك العدو من تحطيم مجتمع بلده : بانسانه ، وصناعته ، ومواصلاته المختلفة ، ومواقعه العسكرية المكشوفة . وتنهاري النتيجة تلك العملية العقيمة باننيار المجتمع الذي يستند اليه نظام ووسائلها ، قبل المضي طويلا في انجازها .

٧ - الحرب الصاروخية - النووية هي حرب هجومية مفاجئة اورادعة بالنسبة للطرفين المتحاربين . ذلك لأن الدفاع ضد اسلحة هذه الحرب مستحيل في المعطيات التقنية القائمة حاليا . وقد سبق ان قلنا ان حماية الانسان ومنجزات حضارته المادية بالاختباء في اعماق الارض تحت طبقات مناسبة من الاسمنت المسلح امر مستحيل . كما انه لا توجد وسائل حاسمة لتدمير جميع الصواريخ المهاجمة على اختلاف انواعها ، ولا بد من ان ينفذ عدد كاف الى مناطق اهدافها . وبالتالي فان الطرف الذي يمارس سياسة دفاعية جامدة في هذه الحرب يعطي عدوه فرصة المباغته بهجوم صاروخي - نووي يبيد مجتمعه على بكرة ابيه ، دون امكان الرد عليه بالمثل .

٨ - بالنسبة لطرفي الحرب الصاروخية - النووية «ينقسم العالم الى ثلاث مناطق كبرى :
- الاولى التي لا يمكن مهاجمتها من قبل هذا الطرف اوداك دون اشارة الصدام
النوى . وتتضمن هذه المنطقة : دول المعسكر الاشتراكي ودول اوربا الغربية مع اميركا .
وكذلك المناطق الاستراتيجية الهامة كمنطقة الشرق الاوسط النفطية مثلا ، وجنوب افريقيا
واستراليا الخ . . .

- الثانية ذات محيط مبهم يسمح للطرفين بالمناورة فيها دون ان يتعرض لضياح
هيئته ، مثل بقية البلاد العربية ذات الاهمية النفطية الضئيلة ، والاقطار الاخرى التي
تجاورها ، كاثيوبيا وتشاد وما شابه .

١ - الثالثة التي تضم الاراضي التي لم تبرز حتى الآن لها اية اهمية استراتيجية او
اقتصادية ، وانا تشكل «مرتج» نشاط للطرفين : كالعطيين الشمالي والجنوبي وكل الدول
والاراضي البعيدة عن حدود المعسكرين كاوسط افريقيا ، وبعض اقسام آسيا* .
ومن الواضح ان نشاط كل طرف في معسكره الخاص به لا يستدعي اى تدخل من
الطرف الآخر .

٩ - ان الحرب الصاروخية النووية ، التي قلنا انها لا يمكن ان تكون محدودة ، ولا بد لها من
ان تكون شاملة من حيث انتشارها فتعم كل الدول الرأسمالية والاشتراكية ، ومن حيث
حتمية استعمال كل وسائطها : من ادنى سلم عياراتها الى اعلاه ، لا تتوفر في طورها الاول
الحاسم ظروفها للاستعمالات التكتيكية والعملياتية لاسلحتها الى جانب الاسلحة
الكلاسيكية . ولا يكون هنالك من هدف في هذا الطور الا الهدف الاستراتيجي الذي رأينا
انه يتحقق بأبادة مجتمع الخصم بالقضاء على نسبة كبيرة من انسانيته ، وتحطيم اقتصاده ،
وتمزيق تلاحمه بتقطيع اوصاله ومواصلاته . الا انه في الطور الثاني لهذه الحرب ، يمكن تصور
استعمالات متنوعة للسلح الصاروخي النووي ، الى جانب السلح الكلاسيكي ،
للاغراض التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية ، وذلك ان بقيت في الطرفين المتحاربين قوى
متماسكة في نهاية الطور الاول .

١٠ - ولم تعد افضل هيئات الاركان في الحرب الصاروخية - النووية العامة تلك التي تعد

* استراتيجية العصر النووي للجنرال بيرغالوا الألف الذكر ص ٨٧ ، ٨٨

بلادها بشكل امثل لقيادة الاعمال القتالية ، وانما تلك التي عرفت كيف تبرز بصورة اوضح عبث ومخاطر اللجوء الى القوة . وهنا يصبح كل طرف اقل استعدادا للمجازفة بالقدر الذي يتمكن فيه الطرف الآخر من تحقيق واطهار استعداد افضل للحرب وتصميم اقوى على القتال عند الحاجة ؛ فشدّة الردع تتناسب طرديا مع فعالية الوسائل لممارسة التارومع تصميم الامة المهتدة على استخدام القوة للرد بدلا من الخضوع والاستسلام» * .

١١ - «لكي تكون القوة الانتقامية رادعة فعلا ، يجب ان تتوفر فيها الشروط الاساسية التالية :

- ان تكون بمأمن من التدمير في ظروف الهجوم المفاجيء .
- ان يسمح لها تصميمها بتخطي الدفاعات العدو (في حالة لقاذفات مثلا) .
- ان تكون قادرة على الحاق دمار بالمعتدى من شأنه اخافته وردعه .
- ان تكون منظمة بشكل يمكنها من العمل آليا من اللحظات الاولى لهجوم العدو المفاجيء» * .

ثانيا : القوانين الخاصة بحرب عدوانية تخوضها اميركا بنفسها مع بعض حلفائها ، او بواسطة احد امتداداتها في العالم ، ضد دولة من العالم الثالث :

قلنا ان الولايات المتحدة الاميركية تتزعم الامبراطورية العالمية المتعددة الاطراف ، وتضم هذه الامبراطورية كل العالم الرأسمالي بشقيه المتقدم والمتخلف . وقلنا ايضا ان الرأسماليين للاحتكاريين يتناقضون ويتنافسون فيما بينهم ، ولكنهم في المرحلة الحالية من الرأسمالية الاحتكارية العالمية لا يشنون الحروب ضد بعضهم بعضا كما كانوا يفعلون ايام الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، وانما يتآزرون جيما لصيانة امبراطوريتهم العالمية الموحدة التي تحمي نظامهم العالمي . ولكن الولايات المتحدة (وحلفاءها الاحتكاريين ايضا) تشن الحروب ضد دول العالم الثالث بنفسها مباشرة او بواسطة امتداداتها في هذا العالم . وتأخذ هذه الحروب احد الشكلين التاليين (المتضمنين في الشكل العام الذى هو دوما قمع الثورة على النظام العالمي المذكور مهما كان نوعها) ، لأن العالم الثالث ، كما نقول دوما ، هو

* المرجع السابق ص ١٥٢ .

* المرجع السابق ص ١٣٧ .

الجزء المتخلف المقهور من العالم الرأسمالي الاحتكاري :

أ - «الحرب الداخلية» : تقع هذه الحرب عندما يقوم حكم وطني في احدى الدول المتخلفة ويعمل للخلاص من القهر الاستعماري وتحرير ارادته من التسلط الاجنبي ، فتشن عندئذ الولايات المتحدة الحرب ضده بنفسها او بواسطة احد امتداداتها المناسبة جغرافيا ، لتجديد روابط بلده بشبكتها العالمية ، واحكام قيوده بها ، كي لا يؤدي المساربه الى القطع نهائيا معها . ويمكن ان تقع مثل هذه الحرب ايضا عندما يعترض بلد من العالم الثالث طريق تنفيذ المخططات الامبريالية ، او يعمل على تقويضها وازالة آثارها . فالشعب الفلسطيني مثلا (الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية) والشعوب العربية المحيطة باسرائيل ، واقعة كلها تحت العدوان المستمر لهذا الكيان الذي يقف وراءه الاستعمار الاميركي وبحميه . وكذلك نجد الولايات المتحدة الاميركية تهييء «قوة الانتشار السريع» للهجوم على دول النفط عندما تحين الفرصة المناسبة لسلبها حقوقها النفطية .

ب - الحرب الخارجية : تقع هذه الحرب بقيام الصراع المسلح بين المعسكرين : الرأسمالي والاشتراكي ، في احد بلاد العالم الثالث ، بشكل مباشر تشترك به قوى الطرفين ، وهذا ما لم يقع له مثيل بعد ، وستتناوله فيما يلي من البحث - اوبشكل غير مباشر ، حيث تشترك اميركا او احد حلفائها ، بالحرب ضد ثورة تفصل بلدها عن الرأسمالية العالمية لتضمه الى المعسكر الاشتراكي ، كما حدث في الفيتنام .

١ . «ان التفوق الكمي لم يعد هو المقياس في العصر الصاروخي - النووى ، لقد اصبح في الواقع باستطاعة اى بلد صغير يملك السلاح النووى ويصمم على استخدامه للثأر ان يدافع عن حريته ويذود عن كرامته» * . وهذا يعني ان امتلاك بلد مقهور للوسائل النووية الكافية لتقويض وجود الولايات المتحدة الاميركية في منطقته ، مع التصميم على استعمال هذه الوسائل ضد هذه الدولة الاستعمارية بالذات ، اكانت هي المعتدية بنفسها او احد اذنانها وامتداداتها ، يجعل هذا البلد محصنا ضد عدوانها . فلو امتلكت مثلا احدى الدول العربية من الوسائل النووية ما يمكنها من اغراق الاساطيل الاميركية في البحر الابيض المتوسط وفي المحيط الهندي ، وتحطيم قواعد هذه الدولة الاستعمارية في المنقطة

* المرجع السابق ص ١٥٢

بلادها بشكل امثل لقيادة الاعمال القتالية ، وانا تلك التي عرفت كيف تبرز بصورة اوضح عبث ومخاطر اللجوء الى القوة . وهنا يصبح كل طرف اقل استعدادا للمجازفة بالقدر الذي يتمكن فيه الطرف الاخر من تحقيق واطهار استعداد افضل للحرب وتصميم اقوى على القتال عند الحاجة ؛ فشدة الردع تتناسب طردا مع فعالية الوسائل للممارسة الثارومع تصميم الامة المهتدة على استخدام القوة للرد بدلا من الخضوع والاستسلام» * .

١١ - «لكي تكون القوة الانتقامية رادعة فعلا ، يجب ان تتوفر فيها الشروط الاساسية التالية :

- ان تكون بمأمن من التدمير في ظروف الهجوم المفاجىء .
- ان يسمح لها تصميمها بتخطي الدفاعات العدو (في حالة لقاذفات مثلا) .
- ان تكون قادرة على الحاق دمار بالمعتدى من شأنه اخافته وردعه .
- ان تكون منظمة بشكل يمكنها من العمل آليا من اللحظات الاولى لهجوم العدو المفاجىء» * .

ثانيا : القوانين الخاصة بحرب عدوانية تخوضها اميركا بنفسها مع بعض حلفائها ، او بواسطة احد امتداداتها في العالم ، ضد دولة من العالم الثالث :

قلنا ان الولايات المتحدة الاميركية تتزعم الامبراطورية العالمية المتعددة الاطراف ، وتضم هذه الامبراطورية كل العالم الراسمالي بشقيه المتقدم والمتخلف . وقلنا ايضا ان الراسماليين الاحتكاريين يتناقضون ويتنافسون فيما بينهم ، ولكنهم في المرحلة الحالية من الراسمالية الاحتكارية العالمية لا يشنون الحروب ضد بعضهم بعضا كما كانوا يفعلون ايام الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، وانا يتأزرون جميعا لصيانة امبراطوريتهم العالمية الموحدة التي تحمي نظامهم العالمي . ولكن الولايات المتحدة (وحلفاءها الاحتكاريين ايضا) تشن الحروب ضد دول العالم الثالث بنفسها مباشرة او بواسطة امتداداتها في هذا العالم . وتأخذ هذه الحروب احد الشكلين التاليين (المتضمنين في الشكل العام الذى هو دوما قمع الثورة على النظام العالمي المذكور مهما كان نوعها) ، لأن العالم الثالث ، كما نقول دوما ، هو

* المرجع السابق ص ١٥٢ .

* المرجع السابق ص ١٣٧ .

الجزء المتخلف المقهور من العالم الرأسمالي الاحتكاري :

أ - «الحرب الداخلية» : تقع هذه الحرب عندما يقوم حكم وطني في احدى الدول المتخلفة ويعمل للخلاص من القهر الاستعماري وتحرير ارادته من التسلط الاجنبي ، فتشن عندئذ الولايات المتحدة الحرب ضده بنفسها او بواسطة احد امتداداتها المناسبة جغرافيا ، لتجديد روابط بلده بشبكته العالمية ، واحكام قيوده بها ، كي لا يؤدي المساربه الى القطع نهائيا معها . ويمكن ان تقع مثل هذه الحرب ايضا عندما يعترض بلد من العالم الثالث طريق تنفيذ المخططات الامبريالية . او يعمل على تقويضها وازالة آثارها . فالشعب الفلسطيني مثلا (الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية) والشعوب العربية المحيطة باسرائيل ، واقعة كلها تحت العدوان المستمر لهذا الكيان الذي يقف وراءه الاستعمار الاميركي ويحميه . وكذلك نجد الولايات المتحدة الاميركية تهبيء «قوة الانتشار السريع» للهجوم على دول النفط عندما تحين الفرصة المناسبة لسلبها حقوقها النفطية .

ب - الحرب الخارجية : تقع هذه الحرب بقيام الصراع المسلح بين المعسكرين : الرأسمالي والاشتراكي ، في احد بلاد العالم الثالث ، بشكل مباشر تشترك به قوى الطرفين ، وهذا ما لم يقع له مثيل بعد ، وستتناوله فيما يلي من البحث - او بشكل غير مباشر ، حيث تشبك اميركا او احد حلفائها ، بالحرب ضد ثورة تفصل بلدها عن الرأسمالية العالمية لتضمه الى المعسكر الاشتراكي ، كما حدث في الفيتنام .

١ . «ان التفوق الكمي لم يعد هو المقياس في العصر الصاروخي - النووى ، لقد اصبح في الواقع باستطاعة اى بلد صغير يملك السلاح النووى ويصمم على استخدامه للثأر ان يدافع عن حريته ويذود عن كرامته» * . وهذا يعني ان امتلاك بلد مقهور للوسائل النووية الكافية لتقويض وجود الولايات المتحدة الاميركية في منطقتة ، مع التصميم على استعمال هذه الوسائل ضد هذه الدولة الاستعمارية بالذات ، اكانت هي المعتدية بنفسها او احد اذنانها وامتداداتها ، يجعل هذا البلد محصنا ضد عدوانها . فلو امتلكت مثلا احدى الدول العربية من الوسائل النووية ما يمكنها من اغراق الاساطيل الاميركية في البحر الابيض المتوسط وفي المحيط الهندي ، وتحطيم قواعد هذه الدولة الاستعمارية في المنقطة

* المرجع السابق ص ١٥٢

العربية وفيها حولها من مناطق ، فان احتمال قيام هذه الدولة ، او احتمال قيام امتدادها الاسرائيلي بالعدوان ينعدم . ذلك لأن تحطيم الوجود الاميركي في المناطق الآنفه الذكر يولد ثغرة مميّنة في الجهاز العسكري الاميركي العالمي ، ويخل اخلالا خطيرا في توازن النظامين النوويين الاميركي والسوفياتي لصالح الاخير . ومعطيات العصر النووي لا تسمح لهذا الوضع بان يستقر طويلا كي تتاح لاميركا فرصة اعادة التوازن النووي مع الاتحاد السوفياتي . فلا بد اذن من ان تنزلق تلك الدولة الى حالة الدونية المطلقة ، وان ينهار مع هذه الحالة نظامها الرأسمالي الاحتكاري العالمي القائم على التوازن المذكور .

٢ . لا بد من توفر الشروط التالية لرد عدوان الولايات المتحدة الاميركية او رد عدوان امتداداتها ، على بلد في العالم الثالث :

- ان يكون شعب المقاوم مصمما بكلية على المقاومة مهما كان ثمنها ، وهذا يتطلب قيام الوحدة الوطنية في هذا الشعب ، مع عزل الفئات الضئيلة من الانتهازيين والخونة .

- ان يكون البلد المقاوم قادرا بشكل عام على مواجهة المعتدى بما يلزم من الرجال والمعدات ، في كل ظرف من ظروف الحرب ، وفي مختلف ساحاتها .

- ان تتوفر للمقاوم في بلده اعماق استراتيجية كافية ، وارض صعبة ، بحيث يتمكن من اعطاء الكفاح المسلح كل ابعاده المطلوبة . فتراوح الحرب عندئذ بين جبهاتها النظامية الكلاسيكية وبين مصادمات وغارات العصابات التي لا تستقر في موقع ولا تعرف الهدوء . وعلى هذا الاساس يجب ان لا ترى ابدا قوات العدو الاميركي نهاية لمسيرتها العدوانية ، وان لا تجد لحظة هدوء واحدة ، فتبقى محاطة بالشر من كل اطرافها ، وفي كل ظروفها ، الى ان تلقى الهزيمة النهائية .

- ان لا يكون البلد المقاوم معزولا عن المساعدات المادية والادبية لمختلف قوى الحرية في العالم .

- تكون قيادات المقاوم في مستوى فكري واخلاقي يمكنها من الاستفادة من كل الامكانيات المتوفرة في بلدها للقيام بقيادة الكفاح المسلح .

- ان يكون بإمكان المقاوم الصمود ما دام العدوان عليه مستمرا . وهذه الشروط لا تتوفر في بلد صغير ، كقطر واحد مثلا من الاقطار العربية ، ولا بد من ان يشترك عدد كاف من هذه الاقطار لصد عدوان اميركي بالسلاح الكلاسيكي في حدود الشروط المذكورة .

٣ . ان كل عدوان تشنه الولايات المتحدة الاميركية على بلد من بلاد العالم الثالث هو عدوان على الحرية ، ومحاولة لايقاف عجلة التاريخ عن الدوران ، فهو لذلك يوقظ سخط ومقاومة الرأي العام العالمي ، ومن جملته سخط ومقاومة الجماهير الاميركية على احتكاري اميركا اعداء الانسان ، تجار الاسلحة . ففي الحرب التي شنتها اميركا مثلا على كوريا الشمالية في الخمسينات رفض عشرات الوف الشبان الاميركيين تأدية خدمة العلم وتحلفوا عن الانخراط في صفوف الجيش . اما في الحرب الفيتنامية فقد بلغت مقاومة جماهير هذا الشعب ذروتها وتجلت بمختلف الاشكال التي منها تحلف الشبان بعشرات الالوف عن تأدية الخدمة العسكرية .

٤ . ان حلفاء اميركا في اوربا واليابان ، بسبب منافستهم لها في نهب العالم المتخلف ، يرون في كل عدوان او نشاط عدواني تقوم به في منطقة غنية بالمواد الاولية خطرا على مصالحهم في تلك المنطقة من الجشع الاحتكاري الاميركي ، فهم بدورهم وبطرقهم الخاصة يعملون على عرقلة المساعي الاميركية لكسب المؤيدين للعدوان ودعمه .

٥ . ان كل حرب تخوضها اميركا ضد دولة من دول العالم الثالث (بنفسها اوباحد امتداداتها) هي حرب عدوانية من طرفها ، وحرب ثورية من طرف ضحية عدوانها . لذلك فان على المستضعف ان يبارس الكفاح المسلح في حدود الشروط المبينة في (٢) كي يحقق رد العدوان ، بينما تعتمد اميركا على تفوقها المادي وعلى تحاذل الضحية وتشتت قواها .

٦ . لوضع العالم امام الامر الواقع ، وعدم اعطاء الوقت الكافي لِتَكُونِ وتصاعد معارضته ، تخطط الولايات المتحدة الاميركية لعمليات «تدخل سريع» توصلها الى اهدافها خلال اقصر وقت : بضع عشرات من الساعات ، اوبضعة ايام على الاكثر . اما الضحية فعليها ان تطيل المعركة اطول مدة ممكنة لمنع العدوان من تحقيق هدفه بسرعة ، ثم تحويل الحرب الى كفاح مسلح طويل ان امكن ولزم الامر .

٧ . ان الهجمات الاولى للعدوان الاميركي (المباشر اوبواسطة احد امتداداتها) على بلد من العالم الثالث تكون في غاية الشدة خلال الساعات الاولى من العدوان ، وذلك بكل وسائل التمهيد للاجتياح (بالطيران والصواريخ) ، وقد تستعمل لهذا الغرض القنابل النووية الصغيرة والمتوسطة للامعان في الارهاب . وتتناول هذه الهجمات الاهداف العسكرية الهامة ، والتجمعات السكانية الكبيرة . فعلى الضحية اذن ان تكون مستعدة

لتلقى هذه الهجمات بالبناء المسبق لأفضل الدفاعات التي تمكنها من تلقي الصدمة الاولى دون ان تنهار ، ثم مواجهة المعتدي بالكفاح المسلح بكل ابعاده طوال المدة الكافية لردّه .

ثالثا : الحروب التي تقع بين الدوليتين العظميين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، في ارض بعيدة عن حدودهما : ان مثل هذه الحروب التي تتواجه بها القوات السوفياتية والقوات الاميركية على ارض من العالم الثالث لم تقع بعد ، على الرغم من أن خبرات وسلاح كل منهما قد فعل بشدة في قوى الطرف الآخر في اكثر من مناسبة : ان معظم الاسلحة الفيتنامية مثلا كانت سوفياتية في تلك الحرب الشهيرة التي هزمت فيها اميركا ، كما ان اميركا تسلح حاليا معارضي دخول القوات السوفياتية الى افغانستان . وقد مر معنا ان الحرب المحدودة بين العملاقين في هذا العصر النووي هي حرب غير واقعية * . ويقصد بهذه الحرب تلك التي تشتعل بالاسلحة الكلاسيكية والاسلحة النووية الصغيرة والمتوسطة في منطقة جغرافية محدودة كاوربا ، او الشرق الاوسط ، او الشرق الاقصى ، دون ان تمتد الى جميع نقاط التماس الاخرى بين المعسكرين : الشرقي والغربي . ذلك لأن الحرب كما رأينا هي امتداد للسياسة ولكن بوسائل اخرى . فتقوم من اجل اهداف محددة ترتبط عضويا بجملته مصالح كل طرف . نقول بجملته مصالح ، لانه ليس بالامكان رؤية مصالح امة ما بعضها مستقل عن البعض الآخر ، ولا بد من ان تشكل دوما جملة واحدة متماسكة تماسكا عضويا . ان البترول العربي مثلا هو في اساس تماسك الامبراطورية الرأسمالية الاحتكارية المتعددة الاطراف ، فلا يمكن فصله عن مصالح دول اوربا الغربية التي لاتتحرك معاملها وجيوشها الا به . «يقول مثلا الاميرال ستانفيلد تيرنر مدير المخابرات المركزية السابق : ان على الولايات المتحدة الاميركية ان تتبنى استراتيجية جديدة تعتمد على مواجهة الاتحاد السوفياتي في اوربا والعالم الثالث ، وخاصة في دول الخليج . . . وانتهى الى القول ان الخطر المباشر الذي يهدد الغرب اليوم هو محاولة السوفيات السيطرة على منابع النفط . . . » * . فالصدام حول حقول النفط اذن لا بد من ان ينعكس على اوربا ويؤدى

* في ذكرى ثورة اكتوبر الاخيرة اعلن وزير الدفاع السوفياتي ديمتري اوستنوف : ان اي هجوم ضد الاتحاد السوفياتي سيواجه حتما برد صاعق ، وان مفهوم الحرب النووية المحدودة عملية انتحارية . السفير

٨١/١١/٧ .

* السفير ١٩٨١/١٢/١٥

الى الصدام هناك . وكذلك الحال بالنسبة الى اليابان . وبالامكان عكس الامر والقول بان كل صدام في اوربا او في الشرق الاقصى لا بد من ان ينعكس على «غذاء» الآلة الحربية الغربية ، وهونفط الشرق الاوسط ، وبالتالي لا بد من ان تعم الحرب كل المناطق في هذه الحالة ايضا . ولا يمكن بعد هذا تصور اميركا وقارتها بنجوة من اتون هذه الحرب في الوقت الذي تشكل فيه هذه الدولة الاحتياطي العام للنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، ورائدة هذا النظام الى الحرب والعدوان .

ان الاتحاد السوفيات قد سبق وهدد مرارا بارسال متطوعة سوفيات عندما كانت بعض الاقطار العربية تتعرض للعدوان ، او التهديد به ، من قبل المستعمرين الاميركان وحلفائهم . وهناك مستشارون وخبراء عسكريون سوفيات في عدد من بلاد العالم الثالث مع الاسلحة السوفياتية : كان في مصر مثلاً قبل ان تكتشف خيانة السادات عشرون الف خبير سوفياتي . وكان بالامكان تصور تصاعد هذا العدد بمطوعة سوفيات ، فيما لو كان في مصر حينذاك حكم غير حكم السادات ينظر الى مصالح الوطن ويحميها ، ويصمم على مقاومة مخططات المستعمرين الاميركان بكل اخلاص ، ولو ادى الامر الى رد عدوانهم بالسلاح . فمثل هذه الحرب قد تبقى محدودة بمصر ، وقد تمتد الى بعض الاقطار العربية ، دون اشتباك القوتين العظميين الا اشتباكا محليا في المنطقة العربية (بعيدا عن الخليج) . وقد تستعمل فيها بعض الاسلحة النووية الصغيرة والمتوسطة من قبل الطرفين . ولكن كل هذا يبقى حاليا في حدود الاحتمالات الضعيفة . ولا يشكل (ان وقع في المنطقة العربية او غيرها) الا نقاطاً شاذة الى جانب الخط العالم للحروب الواقعية المعروفة اعلاه .

بناء الاستراتيجية الاميركية العالمية واهدافها : رأينا اذن ان العالم ، بالنسبة الى الرأسماليين الاحتكاريين ، قد تطور ، منذ البدء بانشاء الامبراطورية الرأسمالية الاحتكورية المتعددة الاطراف ، الى القسمين التاليين :

الاول : الامبراطورية المذكورة ، ويرى فيها المستعمرون ، وعلى رأسهم الاميركان ، اقطاعا خاصا بهم لا يجوز التجاوز عليه من الداخل او الخارج .

الثاني : المعسكر الاشتراكي .

ان العمل الدائب لقيادة الاستعمار العالمي هو قبل كل شيء : صيانة تلك الامبراطورية وترميمها وحمايتها من كل ما يهدد كيانها ، وذلك ، بطبيعة الحال ، الى جانب

عمليات نهب الثروات والقيم من قبل احتكاري هذا النظام . وقد سبق ان اشرنا الى ان اصحاب تقرير «التوجهات الاستراتيجية» ، الذي اعد بمثابة توصيات لادارة ريغن ، اوردوا في تقريرهم هذا العبارة التالية : «لا توجد اية منطقة في العالم تقع خارج مجال المصالح الاميركية» . والمقصود بالعالم هنا هو بطبيعة الحال ذلك الذى يقع ضمن حدود امبراطورية اصحاب التقرير المذكور . ويسعى المستعمرون ايضا الى توسيع امبراطوريتهم على حساب المعسكر الاشتراكي بالعمل على ضم بعض دوله اليها . ويجب ان لا يذهب الظن الى ان شتم عمليات التأميم في بعض بلاد العالم من قبل الاميركان وحلفائهم ، ودعم هؤلاء لخدمهم الرجعيين في البلاد المتخلفة ، ينبعان من كرههم للتأميم و«محبتهم» لاولئك الخدم الرجعيين . فكره الرأسماليين الاحتكاريين ومحبتهم هما كره ما يسيء الى نظامهم العالمي ومحبة ما يخدمه . فيمكن لنظامهم ان يستوعب «الاشتراكيات» التي تمكنهم من نهب فضول قيم وثروات بلادها ، وتخدم مخططاتهم العدوانية في العالم . بل انهم يفضلون هذه «الاشتراكيات» على الرجعيين الحمقاء الجاهلة التي لا تستطيع خدمتهم بشكل صحيح . ولطالما تأمروا وسعوا الى استبدال رجعيين مهترئين عاجزين «باشتراكيين» دجالين «ماهرين» في تمزيق الوحدة الوطنية لامتهم ، وماهرين على الاخص في خدمة مخططاتهم الاستعمارية . وكنا اشرنا الى العديد من اهداف المستعمرين ، ولنتظر فيما يلي الى الرئيسية منها :

١ . يعمل المستعمرون بدأب للاشراف على منابع المواد الاولية ، وخاصة منها النفط ، وتنظيم توزيعها فيما بينهم بمعزل عن اصحابها الاصليين .

٢ . يدعم المستعمرون جهازهم العسكري العالمي ويطوره ليكون على الدوام متيقظا وكفؤا لحراسة امبراطوريتهم العالمية . والجزء الاساسي من هذا الجهاز هو القائم على حدود الامبراطورية بامتدادات الامبرياليين : صهاينة اسرائيل وعرقبي جنوب افريقيا وغيرهم ، مع الخدم الرجعيين والانتهازيين في العالم الثالث ومختلف اجهزة التخريب والتجسس .

٣ . يدأب المستعمرون على تشتيت صفوف المقاومة ضدهم في كل بلد من العالم الثالث ، وازكاء الخصومات والحروب بين دول المتخلفين (وكأنه لا تكفي مصائب هؤلاء بهم وبقهرهم ، فيضاف الى كل هذا قهر بعضهم بعضا ، والتخريب المتقابل لبلادهم) .

وقد مرت الاستراتيجية الاميركية ، في حدود نظرة الرأسمالية الاحتكارية الأنفة الذكر الى العالم ، وتبعاً لنمو الامبراطورية المتعددة الاطراف ، في اربعة اطوار :

الطور الاول : وهو الذى استغرق فترة ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة . وكانت فيه الامبريالية الاميركية منهيمة بكليتها بوضع الاسس والدعائم الاولى للامبراطورية العالمية المتعددة الاطراف والموحدة بزعامتها . وذلك بتحقيق الامور التي مر ذكرها سابقاً ، التي نختصرها فيما يلي :

- الاخذ بيد البلاد الرأسمالية القديمة ، المنتصرة والمهزومة ، في الحرب العالمية الثانية ، ومساعدتها لبناء ما دمرته هذه الحرب فيها . والتغلغل ايضا في اقتصادها وهيمنة عليها سياسياً وعسكرياً ، بالاستفادة من تلك الظروف .

- تكتيس الاستعمار القديم ، ودفع المستعمرات واشباه المستعمرات (اي بلاد ما يسمى بالعالم الثالث الآن) الى الاستقلال السياسي في حدود النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي .

- المباشرة باقامة الجهاز الامبريالي العالمي الذي يتألف من : مختلف الاحلاف العسكرية والسياسية في اوربا الغربية ، واميركا اللاتينية ، والشرق الاوسط ، وجنوب شرق آسيا . واقامة شبكة تجسس وتخريب عالمية تغطي سطح الكرة الارضية . ونشر القواعد العسكرية في دول العالم الرأسمالي المتقدم والمتخلف ، وتوزيع الاساطيل الحربية على جميع بحار العالم .

وحاولت الولايات المتحدة الاميركية في بدء هذا الطور ان تستغل ما تركته الحرب من دمار في الدول التي كانت حينذاك تقوم بتكوين المعسكر الاشتراكي ، وعلى الاخص منها الاتحاد السوفياتي ، لتضمها الى امبراطوريتها الأنفة الذكر . وقامت المحاولة على عرض مختلف المعونات الاقتصادية المشروطة من جهة ، وعلى الضغط الاقتصادي من جهة ثانية بمختلف اشكاله ، التي منها مثلاً الالحاح على الاتحاد السوفياتي لتسديد ديونه التي عقدها مع اميركا اثناء الحرب . ونجح الاميركان في اخراج يوغسلافيا من المعسكر الاشتراكي ، وضمها الى معسكرهم (بنظامها «الاشتراكي» الكامل) . ولكنهم فشلوا ، طبعاً ، في محاولاتهم للتغلغل بعيداً في ذلك المعسكر .

ويمكن القول ، ان الولايات المتحدة الاميركية ، كي تكسب الوقت ، وتتم

مشاريعها الاستعمارية العالمية المذكورة أعلاه ، كانت تمارس بشكل عام سياسة التهدئة تجاه الاتحاد السوفياتي ، الى جانب استراتيجية دفاع ايجابي (على الرغم من الحرب الكلامية العنيفة التي كانت تقوم بينهما) . ونقصد بالدفاع الايجابي ان الولايات المتحدة الاميركية كانت حينذاك تظهر تمام الاستعداد للدخول في حرب مع الاتحاد السوفياتي فيما لو تعرقلت مخططاتها العالمية بسببه . ويمكن تسمية الاستراتيجية هنا باسم استراتيجية الابعاد : إبعاد الاتحاد السوفياتي عن طريق ما كانت تدبره اميركا في العالم . وفي الواقع كان الاتحاد السوفياتي من جهته يرى في مساعي اميركا «لتكنيس» الاستعمار القديم من العالم «خطوة متقدمة» ، بالاضافة الى انشغاله حينذاك بالاعمال الداخلية الهائلة الاتساع لازالة ما خلفته الحرب من دمار في بلده . وبالإمكان ان نجعل الاسس المادية للموقف الاميركي في هذا الطور بما يلي :

١ . خرج الاتحاد السوفياتي من الحرب وهو اقوى دولة برية في العالم ، تجاه حلفاء لاميركا في اوربا والشرق الاقصى كانوا منهمكين حينذاك بازالة الدمار الذي خلفته الحرب في بلادهم .

٢ . كان المعسكر الاشتراكي يتسع اتساعا هائلا بانتصار ثورة الصين الشعبية ، ثم امتداد نار الثورة الى الفيتنام ، ووصول شرارتها الى الارخبيل الاندونيسي .

٣ . النهوض الكاسح للحركات الوطنية ضد المستعمرين القدماء ، في المستعمرات واشباه المستعمرات ، مع اضطرار اميركا الى وضع القناع الكاذب للتظاهر بالدفاع عن «التحرر وحقوق الانسان» ريثما تتم بناء امبراطوريتها العالمية على حساب المستعمرين القدماء وحساب الحرية الكاملة لشعوب العالم الثالث .

٤ . اشتداد الحركات الجماهيرية في بلاد المستعمرين بالذات ضد النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي الذي سبب كوارث الحرب الفاجعة : في فرنسا مثلا كان للحزب الشيوعي حتى اواخر الخمسينات اكبر عدد من النواب في البرلمان وكان يسيطر على اكثر البلديات هناك ، وما كان الوسط واليمين يتمكنان من تشكيل حكوماتها الا بعقد تحالفات بين مختلف احزابها .

٥ . كان تكوين المخزون الذري الاميركي يتعثر في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي يتقدم بسرعة نحو صنع اسلحته الذرية (فتمت اول تجربة ذرية له عام ١٩٤٩) .

يقول العالم الذرى الالماني ارفين اوينهايمر (الذى اصبح عالما وباحثا ذريا اميركا في اعقاب الحرب) : « . كانت طائرات الولايات المتحدة هي التي القت قنابلنا الالمانية التي انتجناها في اينسبروك على هير وشيما وناكازاكي ، وكان قد استولى عليها الجيش الاميركي في اواخر الحرب ونقلها الى بلاده . . . ان الحماسة الجنونية التي سبقت تجارب حزيران لعام ١٩٤٦ في بكيني تكاد لا تذكر اليوم امام الحماسة التي ظهرت بعدما عرف ان القنابل الاميركية التي يمكن دعوتها بحق قنابل ذرية ، قد القيت في اوائل ايار عام ١٩٤٨ في اينبوتوك * .

٦ . مشاغل اميركا في بناء امبراطوريتها العالمية ، ومشاغلها الاخرى في العالم الرأسمالي ، وقد اشرنا الى هذا قبلا .

الطور الثاني : وهو طور الحرب الباردة الذى ابتدأ فعليا بعهدايزنهور ووزير خارجيته دلس ، وانتهى بطور الانشقاق في المعسكر الاشتراكي ، حيث دب الخلاف العلني بين الصين واتباع ايديولوجيتها في العالم ، وبين الاتحاد السوياتي واتباع ايديولوجيته في العالم . وفي هذا الطور كان المخزون النووى الحراري قد تقدم كما وكيفا في المعسكرين . وكانت ، من جهة ، العلاقات بين الدول الاشتراكية الاوربية قد استقرت وقام حلف وارسو ، في مواجهة حلف الاطلسي . وفي الجهة المقابلة انتهت اميركا عمليا من توحيد الامبراطوريات الاستعمارية القديمة في الامبراطورية العالمية المتعددة الاطراف بزعامتها . ولكن انهيار الاستعمار القديم وعجزه في تلك الايام ، وبروز الحكومات الوطنية في معظم المستعمرات القديمة الهب حماس العالم الثالث ، فاشتدت فيه الثورات التي كان من اعظمها ثورة الجزائر العربية ، والثورة الفيتنامية ، والثورة الكوبية . وراح الناس حينذاك في عالمنا المتخلف يتطلعون الى الافق الابعد ، يتطلعون الى الخلاص من كل اشكال الاستعمار ، ومن جملتها الاستعمار الحديث وامبراطوريته العالمية اللذين خرجت بهما اميركا على العالم . ثم ان القناع الذي كان يغطي الوجه الاميركي الخادع ، ويظهر اميركا كدولة « مناصرة للحرية وحقوق الانسان » ، قد سقط في تلك الايام . وظهرت هذه الدولة كأكبر عدو للانسان وقيمه التي تتظاهرنفاقا بالدفاع عنها . وبرز استعمارها في العالم القديم (البعيد نسبيا قبل تلك الايام عن فظائعها في العالم الجديد ، وخاصة منه اللاتيني والزنيجي) نقول برز استعمارها

* سجناء العالم الذرى . ترجمة الدكتور صلاح مجاوى ص ٥٩ ، ٦٢ .

كأعظم بلاء ابتليت به البشرية طوال عهودها . ولا يدل لنا بهذه المناسبة من ان نسجل بان الشعب السوري كان له الفضل الاكبر في تمزيق ذلك القناع الخادع امام جماهير العالم الثالث ، بالنضال الجبار الذي خاضه ضد المؤامرات الاميركية عليه وعلى اخوته في الاقطار العربية الاخرى ، وباجباطه لتلك المؤامرات الواحدة تلو الاخرى : من اغتيال الشهيد عدنان المالكي الى مؤامرة ستون والحشود التركية ، مرورا بمؤامرات مختلف الاحلاف الاستعمارية . وقد امتلأت مذكرات الاعداء : من ايزنهاور الى جوايسيس ال (سي . آى . اى) ، باخبار الايام الجيدة وخطرها على استعمارهم . ولكن الامر المحزن هو أن تلك الذكريات الخالدة وامثالها تقف على ما يبدو غصة خانقة في «حلق» الاعلام العربي ، وتجف عندها الاقلام العربية ، في الوقت الذى كثيرا ما يتغنى بعضها باجماد زائفة لاولئك الذين مكنوا لهذا الاستعمار في بلادنا .

كان الهدف الاساسي للولايات المتحدة الاميركية في هذا الطور ، نتيجة لما اشرنا اليه ، هو عزل العالم الثالث والعالم الاشتراكي ، كل واحد منها عن الآخر ، وكان هذا لتحقيق الامرين التاليين :

الاول : منع دول العالم الثالث من اقامة علاقات حرة طبيعية مع الكتلة الشرقية ، كي لا تستفيد هذه الدول من مساعدات واسلحة الاتحاد السوفياتي وحلفائه ، لبناء اقتصادها والدفاع عن استقلالها وحقوقها .

الثاني : بمرقلة علاقات الاتحاد السوفياتي وحلفائه الاقتصادية والسياسية مع دول العالم الثالث لعزل تلك الدول الاشتراكية ، والاضرار بتجارتها ، والنيل من نفوذها العالمي ،

كانت اذن السياسة الاميركية تجاه الجزء المتخلف من امبراطوريتها الرأسمالية الاحتكارية ، وتجاه المعسكر الاشتراكي ، سياسة حصار مزدوج : - حصار العالم الثالث ، وحصار ثوراته ، ومنع المساعدات عنها ، وبناء اسس الحملة عليها بالمبالغة في التشهير بالشيوعية ، تمهيدا لضررها بعد اتهامها في وطنيتها ، ونعتها بالتبعية للاتحاد السوفياتي . - حصار المعسكر الاشتراكي ، وعلى الاخص منه الاتحاد السوفياتي ، تمهيدا للانقضاض عليه وضربه عندما تسنح الفرصة .

كانت الولايات المتحدة الاميركية تهدف اذن الى اقامة ستار حديدي على حدود امبراطوريتها العالمية تكون مفاتيح ابوابه بيدها . ولدعم السياسة الآيلة الى هذا الهدف قامت استراتيجيات الحرب الشاملة ، والرد الشامل (الكثيف) ، والحرب الوقائية ، وكلها اسما لمسمى واحد : هو الهجوم العام على الاتحاد السوفياتي وحلفائه عند اول بادرة منه تهدد وجود الامبراطورية الرأسالية الاحتكارية المتعددة الاطراف والموحدة بزعامه اميركا ، الامبراطورية الحديثة التكوين حينذاك : على انقراض الاستعمار القديم الذي ما بلغ حينذاك درجة «هضمها» ، وفي نيران الثورات والكفاح الوطني المنتشر في العالم الثالث حينذاك . ولننظر الى ما تعنيه استراتيجية الرد الشامل باعتقاد احد الجنرالات الاميركان في هذا الطور ، وهو الجنرال كورتيس لومي قائد الطيران الاستراتيجي الاميركي في عهد ايزنهاور . يقول هذا الجنرال : «يجب ان لا يسمح للطيران التكتيكي بحمل القنابل الذرية الا بعد ان يكون الاتحاد السوفياتي قد دمر ثلاث مرات (بالطيران الاستراتيجي النووي)» * . وهذا يعني طبعاً : ان لا استعمال تكتيكي للقنابل النووية ، وانما تحسم الحرب بهجوم شامل نووي يؤدي الى تدمير بلاد الخصم وتحويلها الى «صحراء اشعاعات ذرية» . يقول العالم الذري الاميركي ادوار تيلر ، وهو ابو القنبلة الهيدروجينية الاميركية ، وقد تنقل بجسسته من الهنغارية الى الالمانية ، فالاميركية التي استقر فيها اخيراً ، يقول هذا العالم في شرح آراء الجنرال الأنف الذكر حول استراتيجية الرد الشامل ما يلي : «ان الجنرال كورتيس لومي من انصار الدفاع بالهجوم . وقد قال لي عندما رأني للمرة الاولى : اعطني عدداً كبيراً من القنابل ، وزد لي قدرتها كل مرة ، وبعد ذلك ابتعد عن طريقي لا طير فوق موسكو» ** . ويتابع العالم الذري تيلر كلامه وهو يفصل في شرح آراء العسكريين الاميركان في الرد الشامل فيقول : «لقد برع الجنرال لومي في تنظيم القوى الجوية . وعين بعد التجربة الاميركية لقنبلة «جوزيف الاول» عام ١٩٤٨ قائداً للطيران الاستراتيجي . وحول نفسه في ذات الوقت الى رب مطلق للقنبلة الذرية . لقد اقام جملة من الاعدادات الذرية . فلدينا في افريقيا الشمالية وفي بريطانيا وفي الشرق الاوسط وفي اليابان

* المرجع السابق ص ١٧٣ .

** المرجع السابق ص ١٨٠ .

وحتى في جزر غرينلاند طيارين في حالة استنفار دائم . ويكفي ان يضغط الجنرال على زر احمر في مكتبه حتى تبدأ في ثانية واحدة وبصورة آلية عملية «فيستا» *** ، فتنتقل في الوقت نفسه قاذفة (٤٧ - ٨) محملة بقنابل H وL من ثلاثين قاعدة استراتيجية تعمل حالياً . ولا يستطيع ان يردها الى الوراء اى نداء مهما كان مصدره . فربابنة الطائرات المذكورة لديهم امر حازم بعدم تنفيذ اى امر مضاد منقول بالراديو . اذ يمكن ان يكون العدو قد تمكن من فك رموز شيفرتنا في البث فيحاول ان يوجه نداء على طول الموجة نفسها لابطال الهجوم . . «انتهى قول تيلر .

ومع كل هذا فان النظرة الاميركية ، المبينة هنا ، ما كانت حينذاك الا من باب الفرضيات الضئيلة الاحتمال جدا ، في حسابات السياسة الاميركية بالذات (ومن باب الاحتراس فقط) . لأن اميركا كانت تعرف تماماً قبل غيرها ان الاتحاد السوفياتي وحلفاءه لن يقوموا باية محاولة تشكل خطراً مؤكداً وعاجلاً على الامبراطورية الاميركية العالمية . وقد استندت استراتيجية الرد الشامل الى القوى المادية الآتية :

- القوى الاقتصادية للعالم الرأسمالي الاحتكاري المتقدم ، وما يقع بيد هذا العالم من ثروات وقيم وارضى العالم المتخلف .
- القوى السياسية الرجعية العالمية ، وتيارات الانتهاز والجهل الجارفة .
- قوى التخريب والدعاية والتجسس ، بما في ذلك طيران التجسس ، وكل مؤسسات البحث المتعلقة بهذه المواضيع في اميركا والبلاد الرأسمالية المتقدمة .
- القوى العسكرية الاستراتيجية ، التي كان من اهمها واشدها حسماً المخزون النووى الموزع في مختلف قواعد الهجوم الاميركية : في الولايات المتحدة وفي بقية العالم الرأسمالي ، ومع الطيران الاستراتيجي .

وقد كانت الطائرات (وما تزال حتى اليوم) المحملة بالرؤوس النووية تحوم بدون انقطاع ، ليلاً ونهاراً ، بشكل استفزازي ، على تحوم الاتحاد السوفياتي ، وذلك على الرغم من تيقن اميركا وحلفائها بان هذه الدولة لن تبدأ احداً باية حرب من اى نوع كان (نووية ام غير نووية) . الامر الذي يدل بوضوح على ان الغاية هي محاولة تصعيد التوتر حتى اقصاه

*** الهة النار عند الرومان .

بحيث لا يعود هذا التوتريته تحمل اية زيادة فيه (وهو ما كان يدعى سياسة حافة الهاوية لدلس) . وبالتالي يمتنع الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه عن الاتيان باى امر يضر بسياسات المستعمرين الاميركان ، تجنباً لاثارة حرب نووية ، يمتنع عن بذل اية مساعدة ، «مبالغ فيها» مثلاً لاي شعب من الشعوب المقهورة .

الطور الثالث : وهو طور انقسام المعسكر الاشتراكي ، وتشتت القوى الوطنية وتمزقها

في العالم الثالث تحت ضغط :

- التخريب الاميركي .

- الرجعيات المحلية المرتبطة مصلحياً بالنظام الرأسمالي الاحتكاري .

- الانتهاز والجدل والجهل ، الادواء التي انتشرت واستفحل امرها (وما يزال يستفحل كل يوم) عند المتخلفين .

وفي هذا الطور توطدت دعائم الامبراطورية الرأسمالية الاحتكارية ، بعد تجديد الاستعمار بالقضاء على قديمه في العالم الثالث ، وتحديث اساليبه في ربط المتخلفين بخيوط شبكته . فالاستعمار القديم لم يقض عليه ويترد فقط من مستعمراته السابقة ، وانما قضى ايضاً على امتداداته المهترئة في تلك المستعمرات التي كانت تتجسد بالنظم الاقطاعية العفنة العاجزة عن التلاؤم مع الاساليب الجديدة للمستعمرين وخدمة مخططاتهم بالتالي . وقامت في العالم الثالث رجعيات سوداء متعلمة وغنية ومتمرسة ووقحة . كما استشرت في هذا العالم حركات واسعة وقوية جداً (بالنسبة الى محيطها وليس بالنسبة الى المستعمرين الاسياد) متشبهة بالتقدم ، تقودها فئات انتهازية دجالة لا يمكن ابدا ان تقطع مع الاستعمار لخشيبتها منه على مراكزها (وفي كثير من الاحيان لارتباطها به) . وكانت تلك الحركات تتضخم باخلاق واسعة من الجهلة ، ومن كل من لم يجد وضعاً ملائماً يمكنه من تأدية وظيفة ايجابية في مجتمعه (الضيق بالوظائف على كل حال) ، فانساق وراء ضجيج الشعارات الفارغة ، وبريق المغريات السامة ، يعطل الامور بدلاً من دفعها في الطريق السوي للتقدم والكفاح ضد قاهريه واعوانهم . الا انه كانت هنالك اسباب موضوعية لقيام هذه الاحوال ، تركز كلها على تخلف المجتمع وضيق سبل العيش فيه . يضاف الى هذا ما وضعه الاستعمار الحديث من شبكات التخريب ، وقواعد التهديد بالعدوان ، حول كل بلد متخلف ، ضمن استمرار سعيه المحموم لايقاف عجلة التاريخ لتجديد شبكة الرأسمالية العالمية ومنع

انحلالها الختمي . ولكن اميركا اوقفت في هذا الطور اندفاعها في الحرب الباردة لتستفيد من الانقسام الذى حصل في المعسكر الاشتراكي ، ولكي تحصد نتيجة مساعيها ، وتستغل تفسخ وانحسار موجات الكفاح الوطني في العالم الثالث ، ووقوع معظم الحركات الثورية في هذا العالم في مستنقعات الانتهاز والدجل (بعد ان «تاجر» طويلا اولئك الدجالون الذين تسلقوا الى مراكز قياداتها بمجاهة رخيصة للاستعمار القديم الغارب لمصلحة الاستعمار الحديث الاميركي ، وليس لمصلحة التحرر) . فكانت تعمل على توسيع الخرق على الراتق في المعسكر الاشتراكي ، بالتظاهر بقبول سياسة «التعايش السلمي» مع الاتحاد السوفياتي ودول اوربا الاشتراكية ، في الوقت الذى كانت فيه تستمر بمحاصرة الصين والبلاد الاشتراكية الأسيوية ، وباستفزاز هذه البلاد بثتى انواع الاستفزاز . وقد خاضت في هذا الطور حرب الفيتنام حتى اذنيها في آسيا . وقامت بتصفية اولئك الذين خدموها في توطيد استعمارها الحديث في العالم الثالث ، لأن القناع الوطني الذي اكتسبه هؤلاء في «التجند تحت راياتها» ، عن حماقة وغرور وجهل اوللانتهاز والخيانة المغطاة في تلك الحروب «الدون كيشوتية» ضد المستعمرين القدماء ، اصبح عائقا يمنعهم من اداء ادوار الخيانة السافرة لمصالح امهم في الامبراطورية المتعددة الاطراف الموحدة بزعامتها .

وكانت سياسة التعايش السلمي التي استجابت لها الولايات المتحدة الاميركية من طراز اميركي يهدف الى جر الاتحاد السوفياتي الى سياسة معارضة الرد على المستعمرين من قبل الشعوب المقهورة بحجة حفظ السلم العالمي . اى انها كانت تحاول فرض مبدأ «اللامعقول» وهو : ان الذي يعمل من اجل منع الحروب يجب ان يسكت «على الاقل» عن قهر الانسان للانسان ان لم يساعد عليه . . . وتقوم محاولتها هذه على الابتزاز النووي الذى يضع العالم امام خيارين : «السلام الاميركي» بسلامة امبراطوريتها العبودية التي قد تمتد لتشمل ايضا العالم الاشتراكي ، او الحروب التي قد تكون واحدة منها الشرارة للحرب النووية الشاملة المدمرة للانسان على الارض . ومن الواضح ان هذا المبدأ («خلود النظام الاميركي» او دمار العالم) يعارض كلية سنة الوجود في الكون ، اذ لا خلود لنظام ابدا ، كما لا بد من ان ينتهي القهر وكل شكل من اشكال العبودية مع استتباب السلم بين البشر على الارض . ولا يكون هذا الا بانتهاء هذه المرحلة التي تمر بها جملة المجتمعات الانسانية بصعودها الى الطور الاعلى ، طور الاشتراكية العالمية وزوال العبودية الرأسمالية ، مع كل

العبوديات الناجمة عنها : القائمة بين المجتمعات وفي كل مجتمع . ثم ان التعايش السلمي ، كما نرى ، هوسياسة التعامل مع المعسكر الاشتراكي فقط ، وكانت هنالك سياسة توازها تتبعها اميركا تجاه دول امبراطوريتها ، وهي سياسة القهر المؤيدة بالبطش وشن العدوان من آن الى آخر . ففي منطقتنا مثلا نجد اميركا تقدم باستمرار كل دعم مادي ومعنوي للعدوان الذي لا ينقطع لاسرائيل علينا .

ان ستراتيحية الرد الشامل التي كانت قائمة في طور الحرب الباردة ، لا تتلاءم كما نرى مع سياسة «التعايش السلمي» . وقد كان في اميركا من يعارض تلك الستراتيحية منذ ايام الحرب الباردة ، وقد اشرنا الى هذا الامر فيما سبق من البحث . فمثل هذه الستراتيحية ، برأى اولئك المعارضين ، جامدة ولا تستجيب لحاجات الولايات المتحدة الاميركية في التدخل «عند اللزوم» في مختلف مناطق العالم الثالث ، عند قيام ثورة وطنية مثلا في بلد من بلاد هذا العالم الاخير للخلاص من القهر الاستعماري . لذلك قامت ستراتيحية «الرد المرن» التي تبناها ودافع عنها الجنرال تايلور . وقد حددت هذه المدرسة اربعة انواع من الحروب :

١ . «الحرب العالمية» التي تقوم بين المعسكرين بشكل مباشر .

٢ . «الحرب المحلية» او «المحدودة» التي تشارك بها قوات الولايات المتحدة الاميركية وتقوم في منطقة محدودة من العالم او في بلد من البلاد ، وذلك مهما كان الخصم : اهل المنطقة او البلد ، او عدويأتي من خارج المنطقة .

٣ . «الحرب الخاصة» التي تقوم بها بشكل رئيسي قوات عميلة تجهزها الولايات المتحدة بالاسلحة ، وتدعم قيادتها السياسية المحلية بالمال ، كما تدعمها في مختلف الاوساط الدولية . وهذه الحرب تجرى تحت اشراف مستشارين اميركيين . وقد بدأت الحرب الفيتنامية مثلا بهذا الشكل ، ولكنها ما لبثت ان انقلبت الى الحرب «المحدودة» الأنفة الذكر عندما اضطرت الولايات المتحدة الى الانخراط بها كليا : بجيوشها ، وطيرانها ، واساطيلها . ثم هزمت تلك الهزيمة النكراء .

٤ . «الحرب بالواسطة» وهي التي تقوم بها الولايات المتحدة عن طريق احد امتدادات نظامها الاستعماري العالمي ، كاسرائيل مثلا . وتجري هذه الحرب تحت الاشراف الاميركي ، وتحظى بالدعم المادي والسياسي اللازم . كما تهيم لها اميركا سلفا بتزويد

امتداد نظامها الذي يقوم بشنها بكل حاجاته المادية ليستمر بالبقاء في المنطقة التي زرعه فيها الاستعمار العالمي :

وطورت اميركا في استراتيجية الرد المرن قواها واساليبها الكلاسيكية ، الى جانب تطويرها الثابت لسلاحها النووي ووسائل حمله بالصواريخ او الطيران . وظهرت الاهتمام بشكل خاص بالقوى الملائمة للاشتباك ضد القوى الشعبية ، و«خوض حروب غير نظامية» : انشأت مثلا قطعات محمولة بالهليكوبتر واطلقت عليها اسم فرسان الجو .

الطور الرابع : وهو الذي نحن فيه ، وقد بدأ منذ اوائل عهد كارتر وخواصه الاساسية تحمل فيما يلي :

اولا : ان التقنية الصناعية عند الطرفين متقدمة ومتكافئة وتستجيب بقدر واحد لمطالبات اعداد اي حرب عصرية من اي نوكان (كلاسيكي او نووي) يخوضانها الواحد ضد الآخر .

ثانيا : بلغ الاستعداد العسكري ، الكلاسيكي والنووي في المعسكرين المتقابلين درجة متقدمة جدا ، وهو ما يزال في تقدم مستمر بسرعة مذهلة . وقد مر معنا ان اندلاع حرب نووية محدودة بالمكان والاسلحة بين قطبي القوى العالمية : الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ، امر ضئيل الاحتمال جدا . كما ان الحرب النووية العامة بين المعسكرين ، مع كل ما يملك من وسائل متقدمة لن تأخذ الشكل التصاعدي الرتيب ، وانما ستفجر باقصى ما لدى الطرفين من وسائل العنف والدمار الشامل من بدء اللحظات الاولى لاندلاعها . وقد رأينا ان الطرف المتأخر سيتيح لعدوه فرصة الحاق الدمار الشامل ببلده . ولن يتأخر هذا العدو عن الاستفادة من هذه الفرصة ما دام ينتظر من خصمه ، عاجلاً ام آجلاً ، مثل ذلك الدمار يلحقه به . وقد سبق للاميركان ان القوا سلاحهم الذري على المدن اليابانية دون مبرر عسكري ، اذ كانت اليابان على وشك الاستسلام حينذاك . كما اننا رأينا ايضا نموذجاً للمفهوم العسكري للرد الشامل وهو قول الجنرال الاميركي لومي ، قائد الطيران الاستراتيجي الاميركي في عهد ايزنهاور ، بوجوب تدمير الاتحاد السوفياتي بهجوم نووي واحد ثلاث مرات . . . والاتحاد السوفياتي من طرفه ، مع مناداته الدائبة بالتعايش السلمي ، يرى هذه الامور بوضوح تام ، ويدرك تماما عدم وجود اي «ضابط» في الطبيعة «ينظم» امتداد هيب الحرب النووية ، ويجعله مقيدا بالارادة العادية التي

يتمتع بها الانسان السوي في حالات السلم والهدوء . وقد مر معنا بعض تصريحات المسؤولين السوفيات حول هذا الموضوع ، مما لا يدع مجالاً للشك في طبيعة الحرب العالمية المعاصرة . فهي نووية تنفجر كقنابلها ، فتتبع بعد انفجارها قانونها الذاتي ، وليس قانون ارادة من اطلقها من عقالها : انها فائقة السرعة في جريانها الى نهايتها الرهيبة ، كلية التدمير في آثارها .

ولا بد لنا من ان نشير الى بعض الامور الهامة التي تعرض من قبل بعض المحللين العسكريين باسلوب يدخل الغموض ويولد الافكار الخاطئة في اذهان بعض القراء . فالدقة مثلا تعرض بشكل يوهم بان الصاروخ الدقيق (او المقذوف الدقيق بشكل عام) يقع على هدفه حتما ، مع ان مثل هذا الصاروخ ما هو الا مجرد احتمال لا يمكن ان يقع الا ضمن عدد كاف من الصواريخ التي يتم قذفها في ظروف معينة تؤثر في كيفية انتشارها حول الهدف . والدقة تعبير علمي يرتبط بمستطيل انتشار القذائف حول الهدف ، ومقدارها هو احتمال يرتبط بابعاد هذا المستطيل ، الابعاد التي لا تنعدم ابدا مهما بلغت درجة تقدم تقنية الانسان : ليس هنالك من ظروف دائمة تمنع انتشار سلسلة من المقذوفات ، مهما كان نوع هذه المقذوفات ، وكانت تقنية صنعها ، ولا بد لهذه السلسلة من ان تنتشر حول الهدف تبعا للقوانين الباليستكية . وصحيح ان الانحراف عن الهدف تغطية بعض الشيء قوة المتفجر ، لا سيما منه النووى العظيى يبلغ مدى تأثيره العديد من الكيلومترات . ولكن هامش الاحتمالات يبقى قائما ويتطلب من اجل بعض الاهداف ، غير المحددة بدقة مثلا ، او المحصنة مع وسائلها تحصينا كافيا ، او المتحركة ، جهدا في الاحكام يشغل عددا من المختصين والوسائل ، ووقتا لتحقيق بلوغ الهدف ، واعدادا مناسبة من الصواريخ والقنابل النووية . فتكون اذن الاهداف الكبيرة المكشوفة ، كالمدن والمناطق الصناعية وما شابه ، هي الاهداف المثالية للقصف النووى المباعث وللدرد عليه . وسنعود مرة اخرى الى هذا الموضوع .

ثالثا : يمر النظام الرأسمالي الاحتكارى العالمى في هذا الطور بأزمة عامة عميقة ، تسحق جماهير المستضعفين ، في البلاد المتقدمة والمتخلفة من هذا النظام ، بالغلاء الفاحش والعطالة عن العمل . فهنالك ، بحسب احصاءات الجهات المختصة في الامم المتحدة ستعمائة مليون جائع في العالم الثالث ، الى جانب الملايين العديدة من هذا العالم التي لا تجد

طريقها الى العيش المضمون المستقر ، ثم تسلب كرامتها وتقهروا من قبل المستعمرين وامتداداتهم وعملائهم . وفي العالم الرأسمالي المتقدم ينتشر المتعطلون عن العمل بالملايين . والازمة تعني فساد العلاقات القائمة في النظام ، وتحولها الى سدود وعوائق امام تيار الحياة الجارف فيه ، والى سموم قتالة تفتك بمؤسساته . فهي اذن تسبق التغيرات التي يتناسب عمقها مع حدتها وشدتها . وكانت الحروب والاضطرابات الاجتماعية الحادة (وما تزال) تنشأ عن لازمات ، فتؤدى الى حلها عندما تنجلي عن انقراض وتغير علاقات النظام الفاسدة ، او تزيدها توترا وحدة عندما تنتصر فيها (موقتا) الجهة التي تدافع عنها . ونقول موقتا لأن الحرب او الاضطرابات لا بد من ان تعود بشكل اشد بنتيجة استمرار وتفاقم علاقات النظام التي لا يمكن ابدا ان تعود الى الصلاح بعد فسادها : لا يمكن لعلاقات النظام الثابتة ان تستوعب الي ما لا نهاية التغيرات المتصاعدة للحياة .

وقد سبق الحربين العالميتين ازمستان عامتان عميقتان ، اصابتا النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي . ففي الحرب العالمية الاولى اصيب هذا النظام بعطب شديد بخروج روسيا القيصرية منه وقيام الاتحاد السوفياتي . ولكن علاقات النظام لم «تشف» بهذه الحرب ، وظلت امبرطوريته المتناحرة قائمة فيه الى ان اندلعت الحرب العالمية الثانية التي انهارت بنتيجتها هذه الامبرطوريات وقامت على انقاضها الامبراطورية الرأسمالية الاحتكارية العالمية المتعددة الاطراف (الرؤوس) بزعامة الولايات المتحدة الاميركية . وقامت في العالم الثالث الدول المستقلة سياسيا والمستعمرة اقتصاديا من قبل العالم الرأسمالي المتقدم . ولكن كل هذا لم يؤد الى خلاص هذا النظام من فساده . فعلى الرغم من المساعي الاميركية المحمومة لتأزيم الوضع العالمي ، واتباع سياسة الغدر والعدوان في العالم الثالث ، فانها لم تجد طريقا يخرجها من ازمته العامة ، التي لن تتوقف ، على كل حال ، ابدا عن التفاقم . فالحروب العدوانية ، التي تشنها الامبريالية من آن الى آخرها وهناك في العالم الثالث ، لم تخلف الا ازدياد الفساد في علاقات نظامها العالمي : ان ازمة الطاقة مثلا ، التي هي احد الواجه الرئيسية في الازمة العامة الحالية للرأسمالية الاحتكارية ، تفاقمت بشكل خطير في اعقاب حربي العدوان التي شنتها الامبريالية علينا باسرائيل في عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣ . وقد انتهى الامر الى طورنا الحالي الذي صعدت فيه اشد فئات الرأسمالية الاحتكارية رجعية وسوادا الى السطح . وبرزت في هذا النظام ظاهرة ريغن - هيغ في

النتيجة . ولم تتأخر هذه الادارة ، منذ اللحظات الاولى لتسلمها الحكم في اميركا ، عن البحث عن «مخرج» بموضع استراتيجية لا تأخذ بعين الاعتبار اهوال الحرب العالمية الصاروخية - النووية . فلم تجد افضل من استراتيجية «الرد المرن» للجنرال تايلور ، المفصلة خطوطها العامة اعلاه ، على ان يعاد النظر في الكيفية التي يجب ان تطبق بها هذه الاستراتيجية ، لا في اجواء التعايش السلمي ، وانما في اجواء جديدة من الحرب الباردة :

اولا : السعي الجاد لرفع احتمال قيام الحرب النووية ، بالعمل بكل الوسائل لاعداد الجهاز العسكرى العالمي ، للنظام الرأسمالي الاحتكاري ، بشكل يمكنه من ابعاد الدمار الشامل عن ارض الولايات المتحدة الاميركية ، وذلك على حساب الحاق الدمار الشامل في انحاء اخرى من العالم الواقعة على مقربة من الاتحاد السوفياتي . وبلوغ هذه الغاية يجعل بيد الولايات المتحدة الاميركية قوة لفرض اى شكل من اشكال الصراع على العالم المعادي لها (وهو الاكثرية الساحقة من البشر ومنهم رعاياها المقهورون) : بدءا من الحروب الصغيرة الى اكبر الحروب ، وبالسلاح الذي تقرره ، وفي الوقت الذي تشاؤه . ولا يعني هذا ، بطبيعة الحال ، الا محاولة بلوغ السيطرة المطلقة على العالم . . . وهذا امر مستحيل .

ثانيا : توسيع مجالات الحروب المحدودة ، وعدم التردد في اشعالها عند اى اعتراض للقهر والعدوان الامبرياليين . ومن المفيد ان نعيد هنا بعض العبارات من فقرة كنا اوردناها اعلاه فيما سبق من البحث : « . . . كانت تتكون في عهد الرئيس كارتر مجموعة من المشقين الاستراتيجيين الذين هاجموا الموقف غير التدخلى للرئيس كارتر المذكور ، مبينين بان تخلي اميركا في مناطق مثل انغولا واثيوبيا ، مهما كانت محيطية يشجع على تحديات اكبر في نقاط اشد حساسية ، مثل الشرق الاوسط . . . ان السيد وينبرغر وزير الدفاع الحالي يطالب بما كان يطالب به تايلور ، ولا يختلف «مذهب» الرئيس ريغن الا قليلا عن استراتيجية «الرد المرن» . . . فالاستراتيجية الجديدة التي توضع موضع التنفيذ حاليا تلح على الشمولية» ، فاصبحت جميع مناطق العالم بشكل مباشر او غير مباشر تشكل مصالح حيوية لاميركا . . . ومن اجل هذا فان الادارة الاميركية مستعدة تماما للقيام بتدخل عسكرى ضد مبادرات يمكن ان تشمل اعمالا عدوانية من جانب بلدان وسيطة مثل كوبا وليبيا والفيتنام . . . ان

* لوند دبلوماسيك ايلول ١٩٨١ .

الولايات المتحدة يمكن ان تضطر للقيام بتصعيد سواء عمودى او افقي . . . والعمودى يعني الانتقال الى السلاح النووى ، والافقي يعني توسيع الحرب جغرافيا وقد مر معنا ايضا بعض من تصريحات المسؤولين الاميركيين الحاليين التي تعبر عن وجهة نظرهم التي منها اشعال حرب «محدودة» بالاسلحة النووية

ولهذه الاغراض عملت اميركا منذ عهد كارتر ، اى من اوائل هذا الطور ، على انشاء قوات «الانتشار السريع» ، واعلنت عن ان هذه القوات مستعدة للتدخل في اية بقعة من بقاع العالم (الثالث طبعا) ، وعلى الاخص منها منطقة الخليج العربي . واقامت قاعدة هائلة في المحيط الهندى ، كلفتها عشرات المليارات من الدولارات ، وهي قاعدة ديبغوغارسيا وذلك الى جانب قواعد اخرى انشأتها وتنشئها في هذا المحيط ، فانفقت مثلا المليارات لاتمام المجمع الفائق الخطورة في منطقة ايلة - سيناء ، ببناء المطارات والمنشآت الضخمة الاخرى . وخصصت عشرات المليارات لبناء مختلف انواع السفن والطائرات لاغراض العدوان على العالم الثالث . ولنورد هذا الخبر الهام الذى صدر تحت عنوان : «واشنطن تقر تغطية بحار العالم بسفن - مستودعات لاغراض التدخل السريع» ** : «قررت وزارة الدفاع الاميركية تغطية بحار الكرة الارضية بسفن - مستودعات ، محملة بالمعدات العسكرية لاحتياجات «قوات التدخل السريع» . وقال احد المتحدثين باسم الوزارة الكابتن بحرى مارك برنر انه لا تتوفر لدينا في الوقت الحاضر مثل هذه التغطية الا في المحيط الهندى . واننا نعتزم توسيع نطاقها لتشمل مناطق اخرى من العالم . وذكر برنر ان استراتيجيى البتتاغون اقتنعوا بان عملية تخزين معدات في البحر لاغنى عنها بالنسبة لوحدات التدخل السريع . وهي الحل الذى سيتيح للجيش الاميركي التدخل باسرع وقت ممكن في حالة نشوب ازمة في اية منطقة نائية . واذاف ان هذه الوسيلة تعطينا مزيدا من المرونة ، وتبدو اقل تعرضا للخطر من المستودعات الموجودة في البر في حالة وقوع عمل ارهابي محتمل بسبب قدرة السفن المستودعات على التحرك . وقد عزز البتتاغون مؤخر ا مواقعه في جزيرة ديبغوغارسيا حتى اصبحت هذه الجزيرة البالغة مساحتها ٢٧ كيلومترا مربعا رأس الجسر الحقيقي للجيش الاميركي في المحيط الهندى . وقد وصلت ثلاث سفن -

* السفير ١٣/١٢/١٩٨١ .

مستودعات جديدة في الشهر الماضي الى ديبغو غارسيا فاصبح بهذا عدد السفن التي اودعت فيها معدات التدخل السريع ١٢ سفينة . . ومن جهة اخرى اقر مجلس النواب والشيوخ الاميركان مبلغ ١ ، ٧ مليار دولار تخصص لبناء المنشآت العسكرية الاميركية في الخارج ، بينها ١٤ مليون لتوسيع قاعدة رأس بناس في مصر » .

ثالثا : تشديد ارتباط قوات الحكومات «المطبعة» التي تجهزها الولايات المتحدة وحلفاؤها بالاسلحة ، وتشرف عليها بمستشاريها وعملائها وجواسيسها ، وتستخدمها في الحروب الخاصة المشار اليها في استراتيجية تاليلور ، نقول تشديد ارتباط قوات الحكومات المطبعة بالجهاز العسكري العالمي للولايات المتحدة الاميركية . فاعلان مسؤولي هذه الدولة مثلا في اواخر العام الفائت ، بمناسبة بيع السعودية بعض الاسلحة المتقدمة ، بان لهذا البلد علاقات استراتيجية وثيقة كان من تحصيل الحاصل ، ولا معنى له الا في الاطار الذي نشير اليه هنا .

رابعا : واعلنت الولايات المتحدة ايضا في اواخر العام الماضي ان ذراعها اسرائيل الممتد الى منطقتنا هي امتدادها الاستراتيجي ، كما وقعت مع هذا الامتداد حلفا استراتيجيا . فهذا الاتفاق ، وذلك الاعلان ، ليس لهما معنى الا في اطار الدلالة على المزيد من تقليص مدى الساحة المسموح للعملاء والامتدادات ان يتحركوا فيها بمبادراتهم الخاصة ، وعلى زيادة الاشراف الاميركي على تحركات هؤلاء التابع لتصعيد انضباط سلوكهم . فكثيرا ما يقوم الذنب بتصرفات لا تنسجم كثيرا مع مرامي الرأس البعيدة المدى .

وتؤول استراتيجية الولايات المتحدة الاميركية في هذا الطور الى استخدام الاسلحة الكلاسيكية مع الاسلحة النووية بكل عياراتها . وهذه الدولة ، بحسب ما يصرح به مسؤولوها الحاليون في كل مناسبة ، ليست بحاجة الى اية حجة لشن الهجوم النووي الحراري بالمقياس الذي ترتئيه ، وفي المكان الذي تريده في كل زمان تراه مناسباً ، بعد ان تنتهي من وضع ترتيباتها العسكرية العالمية المشار اليها اعلاه . وحجر الزاوية في هذه الترتيبات هو : بناء جهاز نووي حراري رأسه في اوربا الغربية ، ويمتد الى منطقة البحر الابيض المتوسط ، ويغطي تركيا واسرائيل ومصر والعربية السعودية والباكستان . ثم يظهر في خط الارخبيلات المكون من الفلبين تيوان واليابان ويمتد الى الاسكا . ويضم بطبيعة الحال

كوريا الجنوبية . وتسعى اميركا لتستوعب الصين كي تسد بها الثغرة الكبيرة في هذا الخط ، الثغرة التي تطل على اواسط آسيا السوفياتية وسييريا . كما تنوى ان تقيم جهازها النووى العالمى المذكور على الصواريخ المتوسطة المدى ذات الرؤوس النووية المتوسطة القوة والصغيرة ، ومن جملتها القنبلة النترونية . ويتم هذا الحزام النووى حول الاتحاد السوفياتى الغواصات وسفن السطح الصاروخية النووية في البحار والخلجان القريبة ، والطائرات المحملة بالقنابل النووية الحائمة على الدوام قرب تخوم الاتحاد السوفياتى ، او الرابضة في مطارات قريبة من هذه الحدود . وتدخل كذلك كل الاسلحة الكلاسيكية ، البرية والجوية والبحرية ، المحشودة حول المعسكر الاشتراكي ، في تشكيلات الهجوم الاولي على هذا المعسكر . اما الاحتياطي الصاروخي - النووى العام فيبقى على ارض الولايات المتحدة الاميركية ، وعلى الغواصات والسفن الماخرة في البحار البعيدة ، وفي القواعد المحصنة البعيدة ، والاقمار الصناعية النووية ، والطيران الاستراتيجى البعيد المدى . ويتضمن هذا الاحتياطي الصواريخ القارية ، والحشوات النووية الضخمة . وهناك ايضا الاحتياطي العام لمختلف الاسلحة الكلاسيكية .

ان هذا الترتيب للتعبئة العامة للهجوم النووى مع مختلف استعدادات الهجوم المباغت يهدف في الدرجة الاولى الى القاء ثقل باهظ على الجهاز الحربى السوفياتى بالحزام النووى الأنف الذكر ، وبملاحقاته من الاسلحة الكلاسيكية . ويقوم هذا الامر بالعدد الهائل لنقاط الهجوم المتنوعة الخواص ، وبدقة وسائل الهجوم لقرب المدى ، وبحركية عدد عظيم منها لخصتها النسبية . فتأمل لذلك القيادة الاميركية ان تجبر الاتحاد السوفياتى على صرف كل جهوده وطاقاته في الايام الاولى للحرب (او بالاحرى في الساعات الاولى للحرب ، لأن احتمال تعدد الايام حينذاك ضئيل) على مواجهة اخطار الحزام الأنف الذكر ، والسعي الى تدمير اهدافه العديدة : في اوربا ، والبلاد العربية ، والشرق الاقصى (ونستبعد كلياً نجاح المساعي الاميركية لاحتواء الصين) . وتأمل اميركا بهذا ان تبقى اراضيها بنجوة من هذه المذبحة الرهيبة التي ستصاب بها اقوام الحزام المذكور ، كي تأتي في الوقت المناسب لتجهز على الاتحاد السوفياتى المتخن .

ان مختلف الاهداف المدنية ، وحشود الاسلحة الكلاسيكية قرب حدود الاتحاد السوفياتى ، تشكل ايضا بتعدادها عبئاً باهظاً اضافياً على الجهاز الحربى النووى

السوفياتي ، فيما لو اسند الى هذا الجهاز امر تدميرها . واثقال الهجوم المباغت ، بالشكل الذي نراها فيه هنا لا تبهظ فقط الوسائل المتوفرة ، وانما تبهظ على الاخص كاهل الانسان المختص الذي يدير هذه الوسائل . وفي كثير من الاحيان يشكل فيض الوسائل اثقالا اضافية على الجهاز الانساني المتوفر لادارتها .

ولكن الحسابات الاميركية كلها مبنية على ما يوفر الارياح لكبار الاحتكاريين تجار الاسلحة . فهي تأخذ شكل حسابات المغامرين والمقامرين . فهنا مثلا يقامر المستعمرون الاميركان بستر اتيجتهم على وجود الانسان في الحزام الذي سينشرون فيه صواريخهم المتوسطة المدى حول الاتحاد السوفياتي . لذلك رأينا الغضب العارم يحتاج هذا الانسان في اوربا واليابان ويصل الى الحكام هناك . فالامر هنا تجاوز «التحالف» الى جعل الحليف ترسا يتلقى الضربات المبيدة عن حليفه . الا ان القيادة الحمقاء وحدها هي التي «تنجر» الى مثل ذلك الرد العقيم على الهجوم المباغت الاميركي ، فتترك الاهداف التي يقوض بلوغها النظام الرأسمالي الاحتكاري من اساساته ، لتركض وراء تلك العمليات العقيمة التي تبهظ كاهل جهازها الصاروخي - النووي (الذي تتناقص ايضا امكاناته بشكل اسرع من تناقص امكانات الخصم بما يصاب به من خسائر ، وبما يصاب به مجتمعه ايضا من خسائر ، عندما يتأخر بالرد الصحيح وينطلق برده في طريق عقيم) .

ان الحرب الصاروخية - النووية هي قبل كل شيء حرب كلية باوسع ما تعنيه هذه الكلمة ، فيوجه دمارها لذلك الى مجتمعات الخصم بهدف ابادة معظم بشرها ومؤسساتها وكل اسسها التي تقوم عليها . فلا يبقى بعدها من اثر لعلاقات او نظم تحتونها . وقد سبق لنا ان قلنا ان المباغتة فيها والرد يتزامن عمليا . وعندما يفاجىء الاميركان السوفيات بهجومهم النووي الشامل على حواضرهم ومنشآتهم ، وعلى كل ما يقوم عليه المجتمع هناك ويجعله متهاسكا ، فان هؤلاء الاخيرين سيردون حينذاك بالمثل تماما . وعندما تنطلق مثل هذه الحرب فانها تتبع ، كما قلنا فيما سبق من بحثنا قوانينها الذاتية : كأى انفجار يحدث في الطبيعة ، حيث يتسوقف عند لحظة حدوثه عمل كل القوانين والعوامل التي هيأت لهذه اللحظة ، لتقوم سلسلة من الاحداث الفائقة السرعة وهي تتبع قوانينها الذاتية المنقطعة تماما عن تلك التي سبقت الانفجار . فالقيادات التي هيأت للحرب النووية تفقد بعد انفجار هذه الحرب كل مرتكز وكل وسيلة تمكنها من التحكم باحداثها ، تماما كما يفقد مفجر القنبلة كل

تحكم بمسارات شظاياها في لحظة تفجيره لها . وقد سبق ان عرضنا اقوالا للعالم الذرى تيلر (ابى القنبلة الهدروجينية الاميركية) الذي قال بان الطائرات المنطلقة الى اهدافها في الاتحاد السوفياتي لا يثنيها شيء عن مهامها هذه حتى لو صدر اليها امر من قيادتها بالعودة قبل اتمامها . لذلك يمكننا ان نقدر مبلغ «دجل» (ان لم نقل «سخافة») اولئك القادة الذين يهثون مثلا «طائرات قيادة» ويدعون بانهم سيتمكنون بها من قيادة عمليات الحرب النووية عند اندلاعها ، وهم في الجوبعيدين عن ساحات الدمار الشامل . فنقرأ مثلا في مجلة «استراتيجية» * العبارة التالية في خبر اوردته هذه المجلة تحت عنوان «النص الحرفي لبرنامج ريغان الاستراتيجي» : «نخطط لتعزيز قدرات مراكز القيادة التي ستوجه القوات الاستراتيجية الاميركية خلال حرب نووية ، ولضمان بقاء هذه المراكز ، ستشتر مقرات قيادة محمولة جوا من طراز (أى - ب) لتخدم سلطة القيادة القومية في وقت الحرب . ستعزز مقرات القيادة المحمولة جوا بطائرات من طراز (اى س - ١٣٥) التي تخدم القيادة العسكرية ، وذلك لكي تتحمل الآثار النووية الخ» . فمثل هذه القيادة ربما تكون جيدة عندما تكون الولايات المتحدة الاميركية برمتها : بانسانها ومؤسساتها (الرئيسية على الاقل) ومعاملها ، ونفطها (المحرك لطائرات القيادة) ، ومخازنها الخ . . . ، «طائرة» في الجو وتتساءل عن سعة مثل هذه الطائرات التي تحمل قيادة الحرب العالمية النووية بكل ما يلزمها من وسائل واشخاص مساعدين . . كما نتساءل عن الجهات التي ستتصل بها هذه القيادة تحت العواصف النووية . . ولكن الشيء المؤكد ان مكوث هذه القيادة في الجولا يمكن ان يكون طويلا ، بسبب الوقود . . . وهي عندما تنزل على الارض قد تكون معرضة للوقوع بايدي اكلة لحوم البشر من بقي من امتها بعد الكارثة النووية التي اعادتهم الى عهود التاريخ البالغة القدم . . . ولكن هل هؤلاء المستعمرون اكثر تمدنا وتقدما من اولئك البؤساء اكلة لحوم البشر . . ابدا . .

ولنتظر فيما يلي الى وصف لارض قصفت بالقنابل النووية اعطاه احد جنرالات البنتاغون ، وهو من اشد الناس حماسا لاشعال الحرب النووية . يقول الجنرال ديفرس * :

* العدد الاول - السنة الاولى . تشرين الثاني ١٩٨١ .

* سجناء العالم الذرى ص ١٩٣

« . . . ان عليهم ان يتنقلوا (اي جنود هذا الجنرال) في مناطق دمرتها القنابل الذرية التكتيكية تدميرا تاما . وفي الواقع لن يتمكنوا من استعمال الطرق للتنقل ، ولا المنازل ليستريحوا فيها ، ولن يعتمدوا على تموين ، يقدمه لهم السكان ، لعدم وجود سكان عندئذ ، او تقدمه الارض ، لتحول الارض الى صحراء ، انهم سينتقلون في مجال تكون قد اختفت فيه في الحقيقة الحياة والحضارة . . . » واليوم ، بعد العديد من الدراسات الجادة اصبح من البديهي لدى كل الناس (ومنهم المسؤولون الاميركان بالذات) : ان الدمار الشامل سيلحق بكل تأكيد مجتمعات الجهتين المتصارعتين في حرب صاروخية - نووية . . . » . فقد جرى تمرين اشرفت عليه « المنظمة الاميركية للدفاع المدني » فكانت الفرضية ان ٢٦٣ قنبلة حرورية نووية من عيار (٥) ميغا - طن قد القيت على ٢٢٤ هدفا مدنيا وعسكريا ، وان ١٠٩ قذائف يتراوح عيارها بين ١ - ١٠ ميغا طن ويبلغ مجموع طاقتها ٦٢٩ ميغا طن قد القيت على ٧١ مدينة تضم اكثر من ٦٨ مليون نسمة . اما الاهداف العسكرية ، من مطارات وقواعد صاروخية ومفارق طرق استراتيجية الخ . . . فقد تلقت ١٥٤ قذيفة يبلغ مجموع طاقتها ٨١٧ ميغا - طن . وقد دلت الدراسات في هذا التمرين على ان كل ميغا - طن واحد يلقي على التجمعات البشرية الاميركية يقابلها ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ قتيل ، وان مجموع الخسائر بلغ ٤٢ مليون نسمة . اما مدينة نيويورك وحدها فقد القيت عليها قذيفتان (فرضيتان) من عيار ١٠ ميغا - طن فكانت خسائرها ٦ ملايين نسمة (اي ٥٠٪ من سكانها) . . . وكان ذلك خلال ٢٤ ساعة . . . اما اذا فرضنا ان المعتدى قد قام بهجومه على القواعد الصاروخية ، فانه يحتاج عندئذ ليس الى ٣٠٠ صاروخ كما رأينا سابقا ، وانما الى آلاف الصواريخ . . . وهناك عامل آخر يجب اخذه بعين الاعتبار ، وهو ان البلد الذي يفاجأ بالعدوان سوف لا يضيع صواريخه على القواعد الصاروخية العدو ، وهنا لا يعود امامه سوى مهاجمة المدن الكبرى للخصم . . . » *

والدراسة الأنفة الذكر اجريت منذ ما يقرب من عقدين من السنين ومن نافل القول ان نشير الى ان المخزون الصاروخي - النووي لدى المعسكرين قد تصاعد بشكل كبير منذ ذلك الحين حتى اليوم . وسوف يتصاعد باستمرار ، وبتسارع اكبر من الآن فصاعدا : كما

* استراتيجية العصر النووي - للجنرال بير غالوا . ص ١٣٨ - ١٣٩ .

وكيفاً . وعلينا ان نلاحظ انه ليس هنالك ابدا ، مها تقدمت الوسائل وكانت الظروف ، من دفاعات توفّر الحماية المطلقة من الهجوم . وفي الحرب النووية تكون الوسائل الحاملة للقنابل النووية التي تتمكن من اختراق دفاعات الخصم اكثر من كافية لاحداث الدمار الشامل المبيد عندما توجه الى اهدافها الصحيحة .